

www.kotobarabia.com
د . عبد الله شلبى
العَودةُ إِلى المُقَدَّسْ
www.kotobarabia.com

العودة إلى المقدس

د. عبد الله شلبي

الفهرس

أولا: مقدمة:

منذ نهاية القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر، كانت توقعات مفكري عصر التنوير تشير إلى زوال الدين واختفائه في القرن العشرين، وتأسس هذا الاعتقاد على تصاعد وتأكيد الإيمان بسلطة العقل وقوته. وبدءا من نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين توقع المفكرون السوسيولوجيون، على اختلاف اتجاهاتهم أيضا، اختفاء الدين في البدايات الأولى للقرن الحادي والعشرين، فمع تقدم العلم والتكنولوجيا يكف الإنسان، في رأيهم، عن الاعتقاد في القوى الغيبية، في الأرواح والشياطين، ويفقد الإحساس بالنبوة، وفوق ذلك كله يفقد إحساسه بما هو مقدس، وتصبح العلمنة Secularization كمعتقد وأسلوب للحياة، هي الاتجاه الأكثر غلبة وقوة، فحياة البشر أصبح يهيمن عليها، وبشكل

مطرد، التخطيط العقلاني والإجراءات التكنولوجية.
وبعد أن كان الدين قوة اجتماعية تعلم البشر، ليس فقط الطقوس والمعتقدات، وإنما تعلمهم أيضا الحقائق الخالدة لنظام الحياة والكون بأسره، أصبحت الدلائل في العصر الحديث تشير إلى اضمحلال الإيمان بالقوى المجاوزة للطبيعة، وإلى زوال الاعتقاد بأن تلك القوى يمكن أن يكون لها تأثير على الحياة اليومية للبشر (١).

وعلى الضد من ذلك الاستشراف الذي قام به مفكرو التنوير والقرن التاسع عشر. والمرتبط بزوال الدين وعجزه عن القيام بدور فعال في المجتمع الحديث والمعاصر، نجد أن السنوات الأخيرة من القرن الحالي قد سجلت عودة الدين وبقوة في المجتمعات كافة وعلى تباين مستويات تطورها، وتباين أنظمتها الاقتصادية الاجتماعية، وتؤكد البحوث التي أجريت على البلدان المتقدمة التواجد الديني الواضح على امتداد الفضاء

الاجتماعي في كليته وشموله، خلال الربع الأخيـر من القرن العشرين وهي الظاهرة التي أطلق عليها في المجتمعات الغربية عـودة المقـدس Scared، وعودة الآلهة، والإحياء أو الانبعاث الديني (٢). وأصبحت العلاقة بين الدين والحياة العامـة علـى تنوع وتعدد مستويات وجودهـا وأوجههـا خـلال السنوات الأخيرة أحد الموضوعات المهمـة التـي عكفت على دراستها أقسام علوم الاجتماع والسياسة في الجامعات ومراكز البحوث. كما أصبحت أيضا موضع الاهتمام من المؤتمرات والندوات على كافة الأصعدة الدولية. وكان ذلك مـردودا إلـى تزايـد الدور الذي ينهض به الدين ومؤسسـاته الرسـمية وغير الرسمية في الحياة العامة وفي مجال السياسة في دول العالم كافة.

وليس ثمة شك في أن هذا الاهتمام الآخـذ في التزايد بالظاهرة الدينية مثّل انقلابا على تـاريخ طويل من الإهمال والتجاهل والتغافل أحيانا. وهـو

موقف نبع من تصور مؤداه أن التحديث ونواتجه، وانتشار الديمقراطية كان من شـأنه التقليـل مـن محورية الدين في الحياة العامة وتضاؤل تأثيره في حياة المجتمعات في شرق العالم وغربه. وقد لعب الصراع الأيديولوجي بين الاشتراكية والرأسـمالية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، دورا أساسيا في ترسـيخ الاعتقـاد بـأن المعركـة العقائديـة والأيديولوجية - بالأساس على مسـرح السياسـة والاجتماع الإنساني - أصبحت تدور بين مـدارس علمانية، وأن الأطر الفكرية الأخرى عامة والدينية على وجه الخصوص قد تلاشت واضـمحلت.. إلا أنه ومع بداية الربع الأخيـر مـن نهايـة الألفيـة الميلادية الثانية، بدا أن ما تواضـع عليـه الفكـر الاجتماعي والسياسي منذ نهاية الحـرب العالميـة الثانية، لم يعد له ما يبـرزه وذلـك مـع تزايـد التغييرات المختلفة عن تصاعد دور الدين ليس فقط

داخل كل دولة على حدة، وإنما أيضا فـي مجـال العلاقات بين الأمم والشعوب.

وعلى الرغم من تنـوع وتعقـد الظـاهرة الدينية المعاصرة، إلا أن مناط الدرس والاهتمـام البحثي تركز فقط على جانب واحد بعينـه وهـو الجانب الذي جرى التعارف على تسميته بالأصولية الدينية وقد مثل هذا التركيز انحرافا في فهم ظاهرة بالغة التعقيد والتنوع كان لها جوانبهـا المؤسسـية المتمثلة في الدور المتزايد للكنيسة الكاثوليكية فـي روما والتي أصبحت تسهم بدرجة كبيرة في تشكيل الفكر الإنساني بشأن القضايا الأخلاقية والاجتماعية كما كان للظاهرة خلال ما سمي بلاهوت التحريـر في أمريكا اللاتينية، وبأشكال محافظة بل ورجعيـة في الولايات المتحدة الأمريكية والتي تمثلـت فـي دعم الحزب الجمهوري الأمريكي ودفعه في اتجـاه أكثر يمينية عما كان عليه من قبل.

وفي عبارة موجزة يمكن القول بأن الـدين بكل أشكال وجوده الروحية والثقافيـة والمؤسسـية وبكل مستويات هذا الوجود، قد أصبح فاعلا مهمـا في الحياة العامة للمجتمعات الإنسانية كافة، بل وفي تقرير الحياة داخل هذه المجتمعات بشكل عام، وفي وضع أنساق القيم الضابطة والموجهة بشكل عام.

ونحاول هنـا أن نقـدم مناقشـة لمفهـوم الأصولية الدينية السياسية كحركة اجتماعية سياسية ذات شكل ديني، ثم نرصد عددا من الظواهر التي شكلت مجموعها مؤشرات لما أطلق عليه الإحيـاء الديني أو عودة المقدس في الربع الأخير من القرن العشرين، على أن يسبق هـذا استحضـار سـريع وموجز لتاريخية العلاقة بين الديني والسياسي فـي تلك المجتمعات والتحولات التي طرأت على هـذه العلاقة، نعمد بعد ذلك لبيان السياق البنائي والفكري للأصولية المسيحية داخـل المجتمـع الأمريكـي، وأخيرا نقدم وصفا، على مستوى الفكر والممارسة،

لواحد من التيارات القوية والفاعلـة فـي الحركـة الأصـولية المسـيحية السياسـية فـي المجتمـع الأمريكي.

أولا: الأصولية الدينية كحركة اجتماعيةسياسية: محاولة لضبط

المفهوم وتعيين حدود الظاهرة:

تتسم البحوث والدراسـات التـي تصـدت لبحث ظاهرة الانبعاث الديني المعاصـر بعامـة، والإسلامي بالتخصـيص، بتعـدد المصـطلحات والمفاهيم التي تعبر عن جوهر الظاهرة السياسـية الدينية المعاصرة، وهي تعددية مردودة إلى تبـاين المواقف السياسية والاجتماعية ومن ثـم اخـتلاف الرؤى النظرية لأصحاب هذه البحوث والدراسات. إننا منذ بداية الربع الأخير من القرن الحالي يمكن أن نرصد في كل المجتمعات تقريبا على اخـتلاف مستويات تطورها وتبـاين أنظمتهـا الاقتصـادية الاجتماعية، انتعاشا للحركـات الدينيـة لمختلـف الأديان، وقد اتخذت هذه الظاهرة أشكالا ومستويات

مختلفة على الأصـعدة السياسـية، والاجتماعيـة، والاقتصادية، والثقافية، والنفسية.

ولقد سعت تلك البحوث والدراسـات فـي وصفها للحركات والفاعليات المتنوعة التي تعبـر عن الظاهرة الدينية المعاصرة إلى الاستعانة بالعديد من المصطلحات والمفاهيم كفئات تحليلية تصـف الظاهرة وتجلياتها، فاستخدمت صيغا عديدة مثـل: الإحياء الديني Religious Revival، والانبعـاث الـديني Religious Resurgence، والتجديـد الـديني Religious RENEWAL،والصـحوة واليقظة الدينيـة AWAKENING والإتماميـة للإشارة إلى تبني القول بتمام نظام الـدين ليشـمل الدين والمجتمع معا وعدم فصل الدين عن الدولـة، والأصـ ـ ـ ـولية الدينيـ ـ ـ ـة Religious Fundamentalism والأصولية الدينيـة الجديـدة New – Religious Fundamentatlism كمـا أشارت دراسات أخرى إلى ما يسمى بعودة الـدين

Reterun of religion وديـن الجمـاهير أو المحكومين في مقابل دين الصـفوة أو الحكـام، أو الدين من أعلى Religion from above للإشارة إلى العودة للدين من قبـل الحكومـات والطبقـات الحاكمة، والدين من تحت أو مـن أسـفل Below للإشارة إلى الجماعات المنشقة والمعارضة التـي تتبنى المقولات الدينية في صراعها وتمردها علـى النظم القائمة في مجتمعاتها كما شاعت في كتابـات أخرى مصطلحات العنف الديني والتطرف الـديني Religious Violence – Extremism والجماعات المتطرفة (٣).

وفي تقديري أن جانبا كبيـرا مـن هـذه المفاهيم من شأنه أن يضفي نوعا من التعتيم علـى جوهر الظاهرة موضوع البحث. ذلك أن وصـف الظاهرة الدينية المعاصرة بأنها يقظة أو إحيـاء أو العودة إلى الدين، يوحي بأن الدين كان نائما فتنبه، أو ميتا فاسترجع الحياة، أو أن أصحاب الأديان قد

اغتربوا عن دياناتهم وتركوها لحين من الدهر ثم تنبهوا إليها. إن تعبيرات: الإحياء، اليقظة، الانبعاث في تقديري هي تعبيرات مجازية وتذكرنا بتسمية أخرى جرت عند المسلمين والعرب على وجه الخصوص في أوائل القرن التاسع عشر تقريبا وأعني بها تعبير النهضة Renaissance، حين وجدوا أنفسهم بأوضاعهم الانحطاطية وفكرهم الغيبي أمام تحد حاد جدا من قبل الحضارة الأوربية الصناعية المتقدمة المتسلحة بالفكر العلمي والعلم الحديث، ونحن نجد هذه التعبيرات: الإحياء واليقظة، تردد كثيرا في الكتب المدرسية والجامعية التي تتناول تاريخ المسلمين والعرب من خلال تقسيم هذا التاريخ إلى عصر ذهبي وعصور انحطاط، ولا بد بعد الانحطاط من أن تؤول كل حركة في المجتمع وكأنها يقظة وإحياء ورجوع إلى العصر الذهبي، والازدهار الإسلامي الأول. كما أن توصيف الظاهرة على هذا النحو ينطوي على

استغلال أيديولوجي يسعى أصحابه إلى تجنيد قيم الأديان ضد الأيديولوجيات السياسية الفاعلة في حركة الطبقات المقهورة ودفعها إلى الثورة، وهي أيديولوجيات توسم بأنها مادية وإلحادية، خاصة في المجتمعات التي تسودها تعاليم الكتب الدينية المنزلة (٤).

نحن بحاجة إلى تحديد دقيق لشروط الإحياء والنهضة حتى يمكننا بعد ذلك أن نقيس عليه الفكريات والممارسات التي تشكل في مجملها الظاهرة الدينية المعاصرة لنحكم بعدها ما إذا كانت تعد نهضة وإحياء أم لا؟، وما إذا كانت هذه المفاهيم تصلح بالفعل كفئات تحليلية لوصف هذه الظاهرة أم لا؟

في مؤلفه " ما هي النهضة " يقول سلامة موسى (٥): إن النهضة يجب أن تتجه إلى المستقبل إن أرادت أن تكون أصيلة، لقد انطلقت في أيامنا حيوية جديدة في بلادنا تجدد القيم

والأوزان في معاني الحياة والاجتمـاع والرقـي، ولكننا لا نزال في اختلاط وارتباك وتردد لا نعرف هل نأخذ بالقيم القديمة أم القيم الجديدة، فمـا هـي النهضة؟ هي القيم القديمة. إن أسوأ ما نخشـاه أن ننتصر على المستعمرين ونطردهم، وأن ننتصـر على المستغلين ونخضعهم ثم نعجز عن أن نهـزم القرون الوسطى في حياتنـا ونعـود إلـى دعـوة "عودوا إلى القدماء ". ويرى بسام طيبي (٨) أنه منذ منتصف القرن المنصرم وحتى يومنا هذا وجد كل مفكرينا أنفسهم في مواجهة سؤال مصيري: هل يعني الرد على التحدي الحضاري الغربي العـودة إلى الوراء، أم البحث عن مستقبل جديد يخرج بنـا من أوضاعنا المؤلمة الحالية؟ واختلفت الأجوبـة، ولكن الاتجاه السائد كان يقول بالعودة إلى تـراث الأجداد بحيث إن النهضة العربية كانت تتألف مـن إحياء التراث القديم والعناية به، وغلب عليها الطابع الدفاعي أمام الغزو الإمبريالي، وهذا الـدفاع أخـذ

أحيانا أشكالا لا عقلانية، منها: نفض الغبـار عـن حضارة الأجداد للتبـاهي بهـا أمـام الحضـارة الإمبريالية الغربية، بأن المسلمين والعرب كان لهم أيضا ماضٍ مجيد، في حين أن المطلوب هو الثورة على الماضي الذي كان مجيدا، ولأن ذكراه لم تعد تفيد في الرد على التحدي الإمبريالي، ولأن التفكير في المستقبل عن طريق النضال مـن أجـل هـذا المستقبل هو الكفيل وحده بالتحرر. ومن ثـم فـإن نهضتنا كانت إجمالا ترقد على أمجاد الماضي ولم تتجه إلى المستقبل، وغاب عن أولائك الرواد الذين نادوا بالعودة إلى تراث الأجداد إدراك أن تجليـات القوة والحضارة الأوربية إنما كانت تسـتند إلـى موقف نقدي من الدين والسلطة بلغ حد القطيعة مع القاعدة الدينية والتنوير الأوروبي.

ونجد أيضا أن مفهوم الإحياء والانبعـاث الديني وعلى الرغم من تعبيـر إحيـاء وانبعـاث Revival – Resurgence، إلا أنه ينطوي على

نزعة نكوصية أو انتكاسية تسعى فـي محصـلتها النهائية إلى استبعاد كافة الثقافات المغايرة، والعودة إلى الأصول الثقافية وتوطيـد العلاقـة والصـلة بالماضي مما يوحي بالغربة في تأسيس ما يمكن أن نسميه جيتو Getto ثقافي في عالم يمكن تعريفـه بأنه مجتمع عالمي بحكم تداخل تركيباتـه وكثافـة الاتصالات والمواصلات التي تربط بين أمم اليـوم وتحولها إلى قرية صغيرة، وبحيث يصبح المطلب الأساسي في الإحياء والانبعـاث لـيس الانعـزال والتشرنق داخل الثقافة الوطنية وإنما تكييف هـذه الثقافة لعصر العلم والتكنولوجيا في إطار المجتمـع الدولي، انطلاقا من نظرة تؤمن بوحدة الحضـارة الإنسانية وعالميتها وتنوع ثقافات البشر.

وفي ضوء هذه التصورات فـإن الإحيـاء Revival يشترط المشاركة في إيقاظ حساسـيات جديدة في الإبداع الفكري والعملي يكون من شـأنه دعم تطور الحياة الإنسانية ودفعها إلـى المسـتقبل

وليس النكوص والارتداد إلى مراحل من التـاريخ السحيق، كما يتطلب أيضا بنـاء جسـور متقدمـة لمشروع حضاري يبـدأ مـن أرقـى المسـتويات المعرفية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التـي بلغتها الإنسانية بحكم أنها نتـاج الإنسـانية ككـل وتراكم الجهد الإنساني، ومن حق كل أمة أن تأخذ منها وأن تضيف إليها في ضوء تجربتها الخاصة، بمقتضى أن البشر جميعهم شركاء أصليون في بناء صرح الحضارة الإنسانية الحديثة من دون استعلاء أو إحساس بالدونية، كما أن الإحياء المطلوب يجب أن يسعى إلى تأسيس قيم جديدة في مجال العلاقات الاجتماعية بفاعلية وإيجابية في صياغة شكل الحياة في مجتمعاتهم، وليس قهرهم بزعم قدسية تـراثهم وعجزهم عن التشريع لأمور دنياهم. إن مناقشـتنا السابقة لمعاني النهضة والإحياء تكشـف عـن أن استخدامهما لوصف الظاهرة الدينية المعاصرة يعد استخداما غير ملائم.

ويعد استخدام تعبر البـديل Alternative استخداما غير ملائم لوصف الأطروحـات التـي تقدمها الجماعات والتنظيمـات الدينيـة السياسـية الإسلامية أو المسيحية أو اليهودية على المسـتوى الرسمي، أو مستوى جماعات المعارضـة باسـم الدين. ذلك أن جميع البدائل الممكنة والمتاحة التي تتباين مضامينها الاقتصادية الاجتماعية يمكـن أن ترتدي ثيابا إسلامية أو مسيحية أو يهودية بمعنـى أنه ليس هناك بديل إسلامي أو مسيحي أو يهـودي وحيد، وإنما توجد بدائل متعددة بتعـدد تـأويلات الدين الواحد والتي يمكن النظر إليهـا باعتبارهـا أشكال تعبير ديني عن تعـدد القـوى الاجتماعيـة المتصارعة واختلاف مواقعها. ومن الطبيعي فـي ظل شروط تاريخية محـددة أن يأخـذ الصـراع الاجتماعي بين هذه القـوى الاجتماعيـة مجـرى الصراع الديني، أو أن يظهر في شكله. ولكن يبقى حقل الصراع ومجاله في الأساس اجتماعيا طبقيـا

رغم هذا الشكل الديني. ولذا فإن الاختلاف بين هذه البدائل لا نجد تفسيره في الدين ذاته كدين، وإنمـا في الشروط المادية الاجتماعية الخاصـة بحركـة الصراع الطبقي داخل المجتمع.

إن الأساس في الظاهرة الدينية التي أخذت في الصعود والتنامي منذ بداية الربع الأخير مـن القرن العشرين هو الدعوة إلى معالجـة المسـائل المعاصرة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. عبر سفر تراجعي في التاريخ من خلال العـودة إلـى مصادر الإيمان والاعتقـاد الخـالص مـن كـل التحريفات والتأويلات والعودة إلى ما أنتجه السلف وخلفوه لك من قيم وأفكار وممارسات ونظم، لـذا فإن تعبير الأصولية الدينية السياسية - Political religious fundamentalism يعد تعبيرا ملائما لوصف هذا لظاهرة. ولكن لما كانـت أي دعـوة للعودة عبر الزمان هي بالطبع مستحيلة، بل ومثيرة للسخرية، هذا ما لم نجتر ذكريـات الماضـي، أو

نركب آلة الزمان الأسطورية العجيبة، فإننا يجـب أن نبحث عن المصالح الكامنة وراء هذه الدعاوى، ليس في مجال الدين، والادعاء بأن ما يحدث هـو مجرد تدين، أو جرعات زائدة مـن التـدين أو أن الناس كانوا قد نسوا دينهم ثم عادوا إليه وتمسـكوا به. إن المسألة الأساسية هي أن الظرف الاجتماعي الراهن يحتاج إلى استخدام الشكل الديني في تحركه وتفاعلاته، وبالتالي فإن البحث ينبغـي أن يتوجـه مباشرة إلى مجمل الشروط المادية التـي أفـرزت المناخ الملائم لنشأة ونمو دعـاوى العـودة إلـى الأصول. Fundamentals.

ويعد مفهوم الحركـة الأصـولية الدينيـة السياسية مفهوما ملائما من وجهة نظري لأنه يؤكد على البعد الاجتماعي السياسي لدعوة العودة إلـى الأصول أكثر من بعدها أو جانبها الديني، ويعنـي هذا أيضا أننا حـين نتصـدى لدراسـة ظـاهرة الأصولية الدينية السياسية فإننا نكون بصدد موقف

اجتماعي وسياسي بالضـرورة، وهـذا الموقـف مصحوب بحالة من التعبئة السياسية باسـم الـدين على المستوى الفكري والنفسي، وهذه الحالة تضع صاحبها في إطار النصوص الدينية وتنتهـي بـه طائعا مختارا إلى التنازل عـن إرادتـه الخاصـة ومواقفه وآرائه لحسـاب الـنص الـديني أو مـن يلوحون به. فالنص يصـنع الواقـع الاجتمـاعي والاقتصادي والسياسي.. ويصوغه، والنص الديني هو الحقيقة الأولى، وإذا تعارض الواقع مع الـنص الديني فالنص صحيح لأنه يجب أن يكون صحيحا والواقع خاطئ. ذلك أن النص الديني يمثل الإجابة النهائية التي تتجاوز الأسئلة الخاصة التـي كـان يطرحها الواقع وقت نزول النص الديني، وبالتالي، وبعد انقطاع الوحي، أقفل باب تجديـد الـنص أو الجواب لأنه (الجواب أو النص) نهائي، وقد نطـق به الوحي مرة واحدة وإلى الأبد، ومن ثـم أصـبح للجواب أو النص الديني السلطة المطلقة على الرغم

من تبدل الأزمنة وتطور الواقـع وتغيـره، وهـي سلطة تتجاوز الزمان والمكان.ولكـن لمـا كانـت المجتمعات الإنسانية هي من صـنع البشـر عبـر تاريخهم الطويل، فهي خاضعة لإرادتهم الواعيـة، ومن ثم فالزعم بأن النص يصنع الواقـع الـراهن ويصوغه، وأنه، أي نص، هـو الحقيقـة الأولـى والواقع خاطئ إذا ما تعارض معه، فهذا الزعم في تقديري يعد محاولة لوأد إبداعات البشر، وتعطيـل قدراتهم، وتقييد إمكانات تحررهم ومشاركتهم فـي صياغة حياتهم، ثم قهرهم بزعم قدسية النصـوص وعدول الأسلاف الصالحين وعجز الخلـف عـن التشريع لدنياهم في حين أنهم أعلم بأمورهـا مـن أسلافهم.

إن اختيارنا لمفهـوم الأصـولية الدينيـة السياسية هو على وجهة التدقيق صدى لمضـمون الظاهرة الموصوفة التي نحن بصددها. فالمقصـود هو العودة إلى أصول الإيمان والاعتقاد، والبحـث

عن أسس المجتمع وقواعد الحكم وتنظيم حياة البشر داخل المعتقد أو النص الديني، وهو قاسم مشـترك في الأصوليات الدينية قاطبة. ولذا فـإن السـؤال الأساسي للأصولية هو ماذا كنا؟ ولماذا لا نكـون علـى مـا كنـا عليـه؟ ويـزعم الأصـوليون Fundamentalists أن الرجوع إلى الأصول هو الطريق لأي مستقبل ممكن، ولذلك يلحون بإصرار على أن التغيرات الاجتماعيـة ينبغـي أن تكـون محكومة بالقيم وأنماط التفكير التي جاءت إلينا مـن السلف لأنهم عدول، ومن ثم يناضل الأصـوليون بإخلاص من أجل العودة علـى أصـول الاعتقـاد الديني فـي نقائـه الأول قبـل أن تلوثـه البـدع والتحريفات، كما يـرون أن المجتمـع الإنسـاني محكوم بالقصد الإلهي، وعليه يجب إقامة سـلطان الله على الأرض بعد أن اغتصبه أدعياء الربوبيـة من البشر. والدين من وجهة النظـر الأصـولية لا ينشغل بخلاص الإنسان فحسب، وإنما أيضا بتنظيم

حيانة الدنيا اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وعلى كافة مستوياتها.

والأصولية Fundamentalism لغويا، هي من أصول Fundamentals وهي لفظة إنجليلية مشتقة من لفظة Foundation بمعنى أساس. ويؤرخ لظهور مصطلح الأصولية على وجه العموم في عام ١٩٢٠ م عندما صكه رئيس تحرير إحدى المجلات الأمريكية في افتتاحية عدد يوليو من نفس العام، حيث عرف الأصوليين بأنهم أولئك الذين يناضلون بإخلاص من أجل العودة إلى الأصول، وقد شاع المصطلح إثر نشر سلسلة من اثني عشر كتيبا صدرت بين عامي ١٩٠٩ م - - ١٩١٥ م في الولايات المتحدة الأمريكية تحت عنوان الأصول وكانت تضم ٩٠ مقالة حررها رجال الدين المعارضون لأية تسوية تتم، أو أي حل وسط مع الحداثة والليبرالية المخيمة على أرجاء المجتمع آنذاك، وقد نشرت هذه السلسلة التي مولها

شقيقان كلاهما من رجـال الأعمـال الأمـريكيين ووزع منها ثلاثة ملايين نسخة بالمجان (٦).

وتحددت الأصولية في هذه الكتيبات مـن خلال عدة مبادئ منها: الإيمان بعصـمة الكتـاب المقدس المطلقة، واعتبار العهدين القـديم والجديـد التعبير الحرفي عن الحقيقة الإلهية ولا سيما كل ما يشتمل عليه من مقتضيات معنويـة أو خلقيـة أو سياسية أو اجتماعية، ومهاجمة تيار نقد الإنجيـل، ودعاوى الفحص الحر لآياته اعتمادا على إعمـال العقل في نصوصه، وحـذف النظريـات العلميـة المهددة لقصة الخلق الإلهي للكون والتي جاءت في سفر التكوين، لأنه إذا لم يكن الله خالقا للعالم فـي ستة أيام فسفر التكوين باطل، وإذا كان سفر واحـد باطل فالأسفار كلها باطلة. وثانيـا الاعتقـاد فـي ألوهية المسيح، وبخلاص النفس نتيجة العمل الفعال لحياة المسيح، وموته وقيامته الجسدية، ويضاف إلى

كل ذلك واجب الالتزام بالتبشير النشط تجاه جميـع من لم يعتقدوا هذا المعتقد (٧).

إن الأساس في الظاهرة، هو الدعوة للعودة إلى أصول الإيمان والمعتقد الديني لتصبح إطـارا ناظما لحياة البشر داخل المجتمع الإنساني، وذلـك عن طريق الالتزام بالتفسيرات النصـية الحرفيـة للنص الديني، ورفض تأويله بإعمال العقـل فـي النص، وإحالة كافة قضايا البشر إلى الدين والزعم بأن هذه القضايا تعد على تعـددها وتباينهـا ذات أساس ديني، والانحياز إلى القواعد والممارسـات التي أرساها السلف. وهذا هو ما يشكل مضـمون الأصولية الدينية، وإن كان ثمة خصوصـية فهـي مردودة إلى أن الظاهرة الأصولية تشـكل بتشـكل الدين ذاته، فتأخذ شـكلا إسـلاميا أو مسـيحيا أو يهوديا أو حتى بوذيا، ويعني هذا أيضـا أن ثمـة وحدة كامنة تجمع بين الأصوليات الدينيـة علـى تعددها وتنوعها وتباينها، بل وصراعها أيضا.

يقول عبد السلام ياسين أحد قادة الحركـة الأصولية الإسلامية في المغرب العربـي " إن الله شرف العرب وقواهم بالإسـلام، وعنـدما بحـث العرب عن الشرف والقوة والمنعة فـي مواضـع أخرى بعيدة عن الإسلام صاروا جديرين بالاحتقار والازدراء، وهذا بعينه هو روح وجوهر مـا أكـد عليه جيري فلـول Gerry Falwell أحـد قـادة الحركة الأصولية المسيحية في الولايات المتحـدة الأمريكية ومؤسس حركة الغالبية الأخلاقية بأن الله رفع مكانة أمريكـا وعظمهـا. بحيـث إن الأمـم الأخرى لا تتمتع بمثل هذه المكانة، وذلـك بسـبب تراثها، حيث تحكم هذه الأمة بقوانين مستندة إلـى الكتاب المقدس، ونحن كشعب عندما، نعبـر عـن شكرنا لله - للرب - خالقنا، وليسوع المسيح منقذ الجنس البشري، سوف نكون قـادرين علـى إدارة هذه الأمة اقتصاديا وأيضا في كل مجـال " (٨) ونحن من جانبنا نرى أنه في كلتا الحـالتين، يـتم

النظر إلى العودة لقوانين الله على أنها مفتاح التقدم الاجتماعي، الاقتصادي والسياسـي، وفـي كلتـا الحالتين أيضا يتم النظر إلى الهوية الدينية والهوية القومية على أنهما متلازمتان.

لكل ذلك نرى أننا يجب أن نبحـث عـن المصالح الكامنة وراء هذه الدعاوى والمزاعم ليس في مجال الدين، وإنما في الظرف الاجتماعي الذي يحتاج إلى استخدام الدين في تحركـه وتفاعلاتـه وبالتالي فإن البحث العلمي الاجتماعي فـي هـذه الظاهرة يجب أن يتجه مباشرة إلى مجمل الشروط المادية الاجتماعية التي أفرزت المناخ الملائم لنشأة دعاوى العودة إلـى الأصـول Fundamentals، وإلى القوى الاجتماعية الحاملة لهـذه الـدعاوى، والتي تعبر عن مصالحها من خلالها.

ومن ثم يعـد مفهـوم الأصـولية الدينيـة السياسـ - -ية Political – Religious fundamentalism، مفهوما ملائما لأننـا نكـون

بصدد موقف اجتماعي وسياسي مصحوب بحالـة من التعبئة السياسية باسم الدين، كما أننا أيضا نكون بصدد حركة اجتماعية سياسية Social political movement ذات شكل دينـي أصـولي، وهـذه الحركة قد تعم المجتمع بأسره فتتغلغل كافة طبقاته وشرائحه الاجتماعية، كما أنها قد تكون تعبيرا عن صعود طبقة أو جماعة اجتماعية بعينها. أو تجسيدا لتحالف طبقات محددة داخل المجتمع، ويعتمد الدين باعتباره صيغة من صيغ الوعي الاجتماعي، كإطار أيديولوجي مرجعي له، ومن ثم فهذه الحركة يمكن أن تحوي داخلها العديد من التيارات والجماعـات المنظمة وغير المنظمة السرية وتلك التي تعمل في العلن الرافضة للنظام القائم بكليته والتـي تسـعى لتغييره جذريا، وتلك التي تقبل النظام وتعمل مـن خلاله وإن كانت تقر بعدم مشروعيته وتضمر النية أيضا على قلب نظام وتغييره. وجميعها يمكـن أن تتباين برامجها وأساليبها في العمل، كما يمكـن أن

تتصارع حول البرامج والممارسات الآتية، ولكنها، استراتيجيا يجمعها وحدة الهدف الأقصى وهو إقامة مجتمع ودولة على أساس أصولي ديني.

وبالنظر إلى الدين بحسبانه صيغة جماهيرية من صيغ الوعي الاجتماعي، فإن هذه الصيغة من الوعي تسود بشكل واضح في أواسط الجماهير، وتسيطر بالكامل في بعض الأحيان على صيغ أخرى من الوعي وذلك في شروط تاريخية معينة، وفي مناطق معينة من العالم ويتم استخدامها أداة للمصالحة من الواقع السائد.. والبائس، كما يمكن أن تستخدم أيضا كأداة للتحريض والتمرد والثورة على الأوضاع القائمة، ولما كان من غير المنطقي التفكير في الحركات الاجتماعية دون النظر إلى مساهمات البشر بوعيهم وإرادتهم وتباين انتماءاتهم الاجتماعية والطبقية، فإن ذلك يعني بالضرورة أن كلا من الدين والحركات الاجتماعية السياسية تجمعهما نفس الجماهير، وإذا كان الأساس

في الحركة الاجتماعية والسياسية هو السعي إلى إحداث تغييرات تتفاوت في اتجاهها ومداها، بما يحقق مصالح القوى الاجتماعية المكونة للحركة، فإن تلك القوى يتعين عليها أن تناضل وتكافح وتخوض صراعا اجتماعيا وسياسيا ضد القوى الأخرى التي ربما تتطلع إلى الحفاظ على الوضع القائم، أو تبغي أن يكون التغير في منحى آخر يختلف عما تريده القوى المكونة للحركة.

وفي مسار الصراع يعد الصراع الأيديولوجي من الوسائل الضرورية لتأسيس التغيرات الاجتماعية وفرضها، حيث تلجأ القوى المتصارعة إلى مختلف الأيديولوجيات لتعبئ وتؤسس قواعدها الاجتماعية، وهنا تكون التعبئة الأيديولوجية سلاحا هاما تستخدمه القوى أو الطبقات الاجتماعية المتصارعة، لتبرر مصالحها، وتكتل الجهود والإرادات الواعية لإحداث التغير. إن عملية التعبئة الأيديولوجية هذه، والتي تعد

شرطا أساسيا، وإن لم يكن كافيا، من شروط ظهور الحركات الاجتماعية، يمكن في ظل ظروف محددة أن تتم باسم الدين، حيث يتم اعتماد الدين من قبل حركات اجتماعية سياسية بعينها، كإطار أيديولوجي مرجعي تبرر من خلاله رفضها للواقع الراهن، وسعيها إلى تغييره، وبالتالي نكون بصدد حركات اجتماعية سياسية ذات شكل ديني لأن هذه الحركات وإن ربطت اسمها بالدين، واستلهمت أطرها المرجعية منه، إلا أنها لا يمكنها أن تتخلع من انتمائها إلى تناقضات الواقع القائم والذي تعد هي إفراز له، فهي تطمح كغيرها من القوى الاجتماعية المتصارعة لأن تسيطر على سلطة الدولة لتستخدمها في إحداث التغيرات التي ترتضيها وتحقق مصالحها، ولكنها تعتمد في صراعها على الدين من أجل تحقيق أهدافها. ومن ثم فالأساس المنهجي لتحليل تلك الحركات التي تتخذ من الدين غطاء لها لا بد وأن يعتمد أساسا على التحليل

التاريخي البنائي لمضمونها الاجتماعي الطبقي، وبحيث ينصرف البحث إلى الكشف عن أسباب ظهور هذه الحركات ليس في داخل الدين ودوافع الإيمان، وإنما في مجمل الشروط الاجتماعية المادية، الموضوعية والذاتية، التي أنتجت الحركة.

ولما كانت الحركة السياسية الدينية تهدف إلى تغيير الواقع جذريا، فهي تتبنى مواقف حدية وقطعية تجاه هذا الواقع لتبرر رفضها له ومطالبتها بتغييره، فالحركة ترفض المجتمع ومختلف ظروف الواقع، وهي تنتقل من رفض الواقع إلى مواجهته والبحث عن واقع بديل أو مجتمع بديل، وثمة حركات تسعى إلى خلق مجتمع خاص بها من خلال الانعزال عن الواقع المرفوض لحين من الوقت، وتعلن من خلال عزلتها الشعورية أو الكلية والتامة نوعا من الحرب السلبية الصامتة معتمدة على ما عرف بالتقية إخفاء لموقف الرفض في مرحلة الاستضعاف. في حين تسعى حركات أخرى

إلى المواجهة المباشرة بالانخراط فـي الصـراع السياسي، فهي تسلب الواقع الراهن شرعية البقاء، وتنتهج وسائل عديدة من أجل تغييره تتراوح ما بين استخدام الألفاظ والكلمات والعنف المباشر كوسـيلة لتحقيق أهدافها في فرض البـديل الجديـد علـى المجتمع.

وفي سياق الصراع الذي تخوضه الحركـة تحت راية الدين وباسـمه يصـبح لثنائيـة الكفـر والإيمان، وسلاح التكفير، دورا هاما وفعـالا فـي تحديد هوية أطراف الصراع، وأيضا فـي عمليـة التعبئة السياسية والنفسية للأشياع والمؤيدين. ويرى حبيب (٩) أن الدين في مثل هذه الحركات ينهض بدور مهم يتمثل في إعادة ترتيب القيم القديمة مـن خلال طرح الحركة لخطاب ديني متميز ينطـوي على قيم جديدة، كما يتمثل أيضا في الـدعوة إلـى تغيير الأدوار السياسية لطبقات المجتمع من خـلال إضفاء طابع ديني على قضايا السياسة والاقتصـاد

والمجتمع، أو رؤيتها بمنظور ديني يهـدف إلـى إعادة بناء علاقات السلطة والقوة بما يحقق مصالح القوى المكونة للحركة.

ثانيا: الظواهر والمؤشرات الدالة على تصاعد المد الأصولي المسيحي في المجتمع الأمريكي المعاصر:

عادة ما يؤرخ للبدايات الأولـى لأنحسـار النظام الديني وتراجعه في المجتمعات الغربية عن أن يكون هو الإطار الناظم الذي يحكم سلوك البشر ومجتمعاتهم بعام ١٥٤٣ م. فمع هذا التاريخ بزغت عقلية جديدة بسبب نشأة علم جديد للكـون، اعتبـر وقتها انتهاكا لحرمة المقدس والدين. فمـع جـاليلو Galileo (١٥٦٤ - ١٦٤٢ م)، وكوبر نيقوس Copernecus (١٩٧٣ – ١٥٣٤ م) أصبح العلم قادرا على تكوين رؤية علمية تجـب أيـة رؤيـة أخرى وتتجاوزها. وكان مغزى ذلك أنـه إذا مـا تعارض العلم مع الدين، فعلى الدين أن يترك مكانه للعلم. بيد أن المسالة لم تقف عند هذا الحـد، فقـد بدأت حركة نقد ديني، أو بـالأدق إصـلاح دينـي

لإعداده فحص وتقييم الكتـاب المقـدس وتأويلـه تاريخيا وبإعمال العقل في النص الـديني. وكـان رواد هذه الحركة لـوثر وكلفـن. Luther and Calivin وواكبت هاتين الثورتين، العلمية والدينية، ثورة فلـي الفكـر السياسـي قادهـا ميكـافيلي N.Machiavelli وكان مفادهـا أن السياسـة لا تستند إلى قيم دينية أو قيم أخلاقية مطلقـة، وإنمـا على المصلحة والمنفعة ومن ثم استبعد المقدس من مجال السياسة (١٠).

وكانت المحصلة النهائية لتلك الثـورات أن الوجود الطبيعي والإنساني أصبح يتحدد ببعدين هما الزمان والمكان. وهـذا هـو جـوهر العلمانيـة Secularism إزاحة للقداسة وللتصورات الدينيـة للعالم، وإخراج الحياة الإنسانية وأغراضها وسـبل ممارساتها من دائرة العناية الإلهية، وسيادة تصور آخر للعالم خالٍ من كل ما هـو مقـدس، وفقـدان الأفكار والممارسات الدينيـة أهميتهـا ودلالاتهـا

وفاعليتها على المستوى الشامل للحياة الاجتماعية. وانفصال النظم الدينية عن تلـك الـنظم الخاصـة بالدولة والمجتمع. وبمعنى آخر فك الارتباط بـين الدين وحياة المجتمع وأمور الـدنيا. وفـي المثـل الكلاسيكي الفصل بين الكنيسـة والدولـة أو فـك الارتباط بين السلطة السياسية والعقيدة الدينية فـلا تعود هناك علاقة مقدسة بـين الاثنـين، وتتحـرر المخيلة الشعبية من وهم هذه العلاقـة ومـن ثـم انحسار الدين وانسحابه إلى العالم الخاص، بحيـث يكون سلطانه فقط على تابعيه، وليس له من سلطان على أي قسم آخر في الدولة والمجتمع (١١).

وفي القرن الثامن عشر تم تتويج العلمانية بالتنوير Enlightenment، وكانت فلسـفة كـنط Kant هي المعبر الحقيقي عن روح التنوير، لقـد ارتأى كنط أن التنوير هو هجـرة الإنسـان مـن اللارشد Irrationaleism وهو علة هذه الهجـرة. واللارشد هو عجز الإنسان عن الإفادة من عقله من

غير معونة الآخرين، أو هو بمعنى آخر نقص في التصميم والجرأة على استخدام العقـل مـن غيـر معونة الآخرين. ولذا كان شعار التنوير " كن جريئا في استخدام عقلك ". وترتـب علـى ذلـك عـدم الاعتراف بأي سلطان يأتي من الخارج. فلا شـيء ولا فكرة تتأبد وتتعالى على النقد، بل كـل شـيء خاضع للنقد، وعليه أن يبرر وجوده أمام محكمـة العقل أو تنتفي عنه مشروعية الوجود. ومـن ثـم أصبح العقل هو المعيار الوحيـد لجميـع الأشـياء والحاكم الأوحد لكل ما هـو موجـود، فتأسسـت حكومة عقلية ومجتمع مدني، وبـالأحرى حكومـة ومجتمع علماني لا أحد فيه يحكم بـالحق الإلهـي، وكان العقد الاجتماعي، وإعلان حقـوق الإنسـان، والفصل بين السلطات، ومبـدأ التمثيـل النيـابي والشرعية الدستورية، من ثمـار تلـك المواجهـة الواقعية الملموسة بين الثورة الاجتماعية والمؤسسة الدينية (١٢) وترتب على ذلك انفتاح المجال أمام

تثوير الواقع وتغييره جرا. فالتغيير كان يستلزم نفي القداسة، والإحالة من المطلق إلى النسبي. وخلاص العقل والمجتمع من السيطرة اللاهوتية والغيبية، وانتقال البشر من وضعية الرعايا إلى وضعية المواطنين الأحرار سادة مصيرهم. ولم يبق بعد ذلك سوى التزام العقل المتحرر من كل سلطان إلا سلطانه هو، لم يبق سوى التزامه بتغيير الواقع الاجتماعي فاشتعلت في الغرب الثورات البرجوازية ثم الثورات الاشتراكية مع مراعاة التنويعات والتباينات الأيديولوجية.

وقد شهدت المجتمعات الغربية على امتداد القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، نضج وشيوع الحركات والفلسفات ذات الاتجاه العلماني، أو في الأغلب البعيدة عن الدين. وكان ذلك يعد امتدادا منطقيا لعصر التنوير وما أعقبه من تيارات وأيديولوجيات عقلانية من ناحية، ومن ناحية أخرى، كانت تلك الحركات والفلسفات ذات

الاتجاه العقلاني انعكاسا لعملية التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته تلك المجتمعـات. فلقـد ارتبطت المجتمعـات الغربيـة إبـان صـعودها الاقتصادي بالأفكار والأيديولوجيات التي تدفع نحو التقدم الاقتصادي والاجتماعي والعلمـي والثقـافي والفني، وكانت تلك الأفكار والأيديولوجيات تتعلـق بالمجتمع ككـل وبطبقاتـه المختلفـة، المتناقضـة المصالح والمتصارعة. ويعني هـذا أن مشـروع الحداثـة Modernism الغربـي بمفهومـه البورجوازي، ومنذ نشأته الأولـى وقـت صـعود البورجوازية، كان ينهض على أساس مادي علمي من حيث المنهج والرؤية والمطالب والطموحـات وأساليب المواجهة، ومن ثم استبعدت التصـورات الميتافيزيقية للتقدم من حيث الشعارات والوسـائل. وفي المقابل، كان الطـرف النقـيض للمشـروع البورجوازي، أعني المشروع الاشتراكي، قد استند بدوره أيضا إلى العلـم فـي صـياغة مشـروعه

لتقويض أركان المجتمع الرأسمالي وتأسيس مجتمع مغاير أكثر عدلا وإنسانية هنا على الأرض وليس في عالم آخر (١٣).

ويجدر التنبيه هنا إلى القاسم المشترك في المشروعين، الرأسمالي والاشتراكي، كان هو انحسار الدين وتراجعه عن أن يكون الإطار الناظم لحياة البشر، واضمحلال فاعليته على مستوى الحياة الاجتماعية بشموليتها واتساعها، واقتصار هذه الفاعلية على مستوى الضمير الداخلي للإنسان الفرد. ولم يأت ذلك الانحسار والتراجع بنتيجة لتنازل طوعي من قبل الدين عن كل ما هو دنيوي، وإنما تم نتيجة معارك ضارية على جميع الجبهات بين القوى الاجتماعية ذات التوجه العلماني، وتلك الأخرى ذات التوجه الديني والتي كانت لها السيطرة شبه التامة على المجتمعات الأوروبية.

ولكن، وعلى الرغم من القدر العالي من التقدم العلمي والتكنولوجي الذي تحقق في

المجتمعات الغربية على تباينها، فإن ذلك لم يكـن يعني بالضرورة أن الدين قد فقد مكانتـه وسـلطته بالفعل في تلك المجتمعات. فبرغم تبنيها العلمانيـة على الصعيد الدستوري بما يعنيه ذلـك مـن فـك الارتباط بين الدين والحياة السياسية، وضمان حرية المعتقد الـديني، إلا أن واقـع الـدين فـي تلـك المجتمعات كان أكثر تعقيدا وتشعبا من ذلك، فقـد بقيت المجتمعات الغربية متأثرة إلى حد بعيد بتراثها الديني، وبالإرث النظري والمؤسسـي لتاريخهـا الديني، وشاهد على ذلك نتائج البحوث التي أجريت حول موقف الغرب من الدين بشكل عام من حيـث هو عقيدة وإيمان وممارسة، وتشير هذه النتائج إلى عمق تواجد الدين المسيحي داخل الحيـاة العائليـة وفي صلب العلاقات الاجتماعيـة، إلـى حـد أن المواطنين الألمان، على سبيل المثال، ما زالوا حتى الآن يدفعون ضرائب للكنيسة مثلما يدفعونها للدولة، الأمر الذي جعل للكنيسة في ألمانيا نفوذا سياسيا له

اعتباره. وهذا الوضع قام على أساس اتفاق تم عقده في القرن الماضي بين الدولة والكنيسة ، وأن هـذه الضرائب الإجبارية لا يعفى منها المواطن الألماني إلا إذا أعلن أمام جهة قضائية أو هيئـة الأحـوال الشخصية خروجه من الكنيسة (١٤).

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، نجـد أن الفصل الدستوري بين الدين والدولة لا يعكس دائما العلاقات المعقدة بين الكنائس والسلطات. فعلى حد تعبير ريتشارد فيجري R. A. Vigurie، أحد قادة الحركة الأصولية المسيحية في المجتمع الأمريكي، " إن فصل الكنيسة عن الدولة لم يكن يعنـي أبـدا فصل الله عن الحكومة. وشاهد على ذلك أنه برغم الفصل، فإن المؤسسات العموميـة فـي المجتمـع الأمريكي لا تخلو من وجود الحس الديني، بـل إن هذه المؤسسات تعرف جوا من التدين لا مقارنة لها مثلا بأوربا. ومن مؤشرات هذا التدين فـي أعلـى هرم السلطة نذكر أن الـرئيس الأمريكـي يـؤدي

اليمين على الإنجيل في بداية فتـرة رئاسـته، وإن دورات البرلمان تفتتح بتلاوة النصـوص الدينيـة. وكان كل مـن كـارتر J. Carter وريجـان R. Reagan، وبوش G. Bush الرؤساء السـابقين للولايات المتحدة، لا ينفكون عن ذكر الله في كـل أزمة من الأزمات التي تمر بها الولايات المتحـدة، بل ويطلبون من الناس العودة إلـى القـيم الدينيـة والتمسك بها (١٥) بل إن ريجان، الرئيس السابق للولايات المتحدة، كان يرفع الكتاب المقـدس بيـده أثناء حملته الانتخابية، معلنا أن بـين دفتـي هـذا الكتاب توجد حلول لكافة مشكلات العصـر. كمـا ذهب أثناء رئاسته إلى حد مساندة اقتراح بخصوص إعادة واجب الصلاة في المدارس. هذا فضلا عـن أن الدولار الأمريكي يحمل الشعار التالي In God we trust وقد أصبح الآن للكنائس في الولايـات المتحدة الأمريكية القوة والفاعلية مما يجعلها قادرة على تعبئة المجتمع من ناحية، والضغط على الدولة

بقصد الحصول علـى تشـريعات تتماشـى مـع معتقداتها وتصوراتها، أو منع إصلاحات بعينها قد تتعارض مع هذه المعتقدات مـن ناحيـة أخـرى (١٦).

ويترتب على ما سبق، أن مسـألة تراجـع الدين وانحساره أصبحت موضـع إعـادة نظـر، فالاهتمام صار ينصرف إلى شيوع الحاجـة إلـى الدين والتي تعم المجتمعات الغربية والموسومة من قبل الأصوليين بكونها مجتمعـات مختلـة بفعـل أزماتها الهيكلية الناجمة في رأيهم عـن الانفصـام الحادث بين معتقداتها الدينية وحياة البشر فيها على تنوعها وتباين مستوياتها.

وعلى امتداد العقود الأخيرة مـن القـرن الحالي، تصاعد المد الديني وترسخت جذوره فـي الغرب بفعل عوامل عديدة نذكر منها: تفاقم أزمات المجتمعات الاشتراكية وتحولاتها وانهيار أنظمتها، والأزمة الشاملة في صـلب النمـوذج الرأسـمالي

المتقدم وما واكبها من بطالة مطـردة الارتفـاع، وتدهور لمستويات المعيشة بفعل عدم القدرة علـى التحكم في التضخم، وتناقص الاعتقاد فـي البـديل اليساري وتبني طريق التحول الليبرالي البرلمانـي، أيضا تهديدات الحرب النووية التي تنطـوي علـى إمكانية إفناء الجنس البشري بكامله، والكوارث التي واكبت إنجازات الثـورة العلميـة والتكنولوجيـة المعاصرة، وما ولدته من مشاعر الخوف واليـأس والإحباط بفعل تناقص قدرة البشر فـي السـيطرة على مصائرهم، الأمر الذي شاعت معه في الغرب دعاوى عجز العقل الإنساني والمؤسسات الإنسانية، والتشكيك في قدراتهم على مواجهـة المعضـلات والمشكلات التي تجابـه الإنسـانية فـي طريـق تطورها. ومن ثم انتعش، ثانية الإيمـان بالغيـب، والهروب إلى ما يسمى بعلوم التنجـيم والسـحر، وازدهر الاعتقاد بوجود قـوى تتجـاوز الإنسـان العاجز ومؤسساته القاصرة، وتعلوهما، ويكون بيد

هذه القوى مصير البشر وخلاصهم. وفي تقديري أن ذلك كله كان من شأنه تهيئة المناخ لبزوغ العديد من الظواهر التي شكلت في مجملها مؤشرا لتصاعد المد الأصولي الديني في المجتمعات الغربية في السنوات الأخيرة. وقد تمكن الباحث، وفي حدود المصادر التي رجع إليها من أن يرصد عددا من الظواهر المتنوعة المحسوسة، والتي تعد مؤشرا على تصاعد المد الأصولي المسيحي في المجتمع الأمريكي خلال الربع الأخير من القرن الحالي، على مستوى السلوك الفردي والاجتماعي والسياسة الحكومية.

فعلى مستوى السلوك الفردي، نجد أنه مع الترويج لعدم جدوى الالتزام السياسي، وتفاقم الأزمة المجتمعية بأبعادها وآثارها الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وما واكبها من إحساس بالخداع والعجز والتوتر والاغتراب، صار الدين والمنظمات الدينية ملجأ وملاذا لخلاص

الأمريكيين. يتضح هذا في الفـورة الدينيـة التـي اشتدت حميتها في العقدين الماضـيين (١٩٧٠ - ١٩٩٠)، والتي كشفت عنها استفتاءات الرأي في المجتمع الأمريكي، إذ تشير إلـى ازديـاد نسـبة الانجذاب نحو الدين، فالشعب الأمريكي أصبح أكثر نشاطا في بحثه عن مبررات روحية لحياته، وأكثر اقتناعا بأن الدين يستطيع - بشكل أفضل من العلم - تقديم حلول لمشكلاتهم. كما تشير الاسـتفتاءات أيضا إلى زيادة عدد الأفراد الذين يواظبون علـى ممارسة الشـعائر الدينيـة وإلـى أن الأمـريكيين أصبحوا أكثر إيمانا بوجود الله واعتقـادا بالجنـة والجحيم، وذلك لدى مقارنة المجتمـع الأمريكـي بغيره من المجتمعات الغربية الأخرى (١٧)

ويمكـن أن نتبـين الإحيـاء الأصـولي المسيحي، في المجتمع الأمريكـي، وفـي شـيوع المظاهر الواضحة للنكوص والارتداد إلى أنمـاط من الحياة الدينية التقليدية، بحثـا عـن العلاقـات

الحميمة التـي تتسـم بهـا المجتمعـات القرويـة والجماعـات البدائيـة والتـي كانـت التغيـرات الاجتماعية المتسارعة سببا في فقدانها. ويتجسد هذا النكوص في ظهور أشـكال متباينـة مـن الـدين المسيحي غير المؤسسي. وقد ارتبطت هذه الأشكال بتحطيم أوهام البشر المتعلقة بالمجتمع الصـناعي، ومن ثم ظهرت جماعات كاملة من السكان يصـل تعدادها إلى الملايين، في عدة ولايات أمريكيـة، لا ترغب في التكيف مع الواقع الجديد الذي ترفضـه والذي لا تفكر حتى في مواجهته، وإنمـا تهجـره وتنسحب منه. وتلتزم هـذه الجماعـات بقضـايا أخلاقية ودينية صارمة يتم تعلمها والالتـزام بهـا بحزم ومثابرة، كما تتسم أيضا بالرفض المتـراوح لمختلف صور الحضارة الحديثة. ويوسم أعضـاء هذه الجماعات بـأنهم مهـاجرون مـن الزمـان مخاصمون للعصر كله. مستريحون فـي قـراهم البعيدة والتي رفضوا حتى إدخال الكهربـاء إليهـا

بزعم إنها لم ترد في الأسفار المقدسة. ومن ثم فهم يأكلون ويلبسون ما تصـنعه أيـديهم، ويزرعـون بأدواتهم البسيطة الأولية، ويعلمون أجيالهم أسـفار الكتاب المقدس، ويسهمون في الحياة العامة بالقـدر الذي يسمح لهم بالاستمرار والحفاظ على كياناتهم التي أسسوها (١٨).

والشكل الثالث للإحياء الأصولي المسيحي نلمحـه فـي الكنـائس الأصـولية البروتسـتانتية الأمريكية، حيث تشهد هذه الكنائس نموا كبيرا فـي الاتحادات التطوعية الاختيارية المناهضة للبواعث العصرية في الحضارة الأمريكية، فـي السياسـة الداخلية والخارجيـة، وفـي الجـنس والأخـلاق والإجهاض. واتباع هذه الاتحادات أكثـر تحفظـا وتطرفا فـي اعتقـاداتهم وتفسـيراتهم الحرفيـة للنصوص الدينيـة ويطلـق علـيهم المسـيحيون المولودون من جديد، أو المسـيحيون مـن أتبـاع الميلاد الثاني. Born Again Christians وتشكل

هذه الجماعات العناصر القوية الفاعلة في علميـات الإحيـاء الأصـولي المسـيحي داخـل المجتمـع الأمريكي. وينتمي إليها أكثر من أربعـين مليـون أمريكي، يأتي معظمهـم مـن الفئـات المتعلمـة الأمريكية التي تعود بأصولها إلى الطبقة الوسـطى الدنيا الأمريكية. وهي فئات تواجه تأزم المجتمـع الأمريكي وتفاقم مشكلاته بإظهار حاجتها إلى الدين كمنقذ ومخلّص. ولقد بدأ النشاط الديني والاجتماعي الفعلي لهذه الاتحادات في أواخر السـتينيات وفـي السبعينيات من القرن الحالي. وكانت مطالبها فـي البداية محصورة في مناهضة الثقافة الليبرالية فـي المجتمع وداخل الكنيسة. والدعوة علـى هجرهـا والعودة إلى الأصول الكتابية صونا للمجتمع الـذي أسسه الأسلاف أو الرواد الأوائل. ولذلك عمـدت هذه الاتحادات إلى ممارسة نوع الضـبط العقـدِي المناهض للعلمانية والتأثيرات والاهتمامات العلمية في الحضارة الأمريكية، وامتد هذا الضـبط إلـى

المؤسسـات التعليميـة والإعلاميـة والتشـريعية ومؤسسة الرئاسة الأمريكيـة. فطـالبوا بتحـريم الإجهاض وإقامة واجب الصلاة داخـل المـدارس العامة، ومنع تدريس نظرية التطور. بل ذهبت هذه الجماعات إلى حد الدعوة إلى هجر المدارس العامة ورفض التعليم داخل المدارس العلمانية، ورفـض أساليب التنشئة غير الدينية، وأنشأت مدارس خاصة ومؤسسات تعليمية موازية لمؤسسات الدولة بهدف خلق جيل أمريكي أصولي لا يتأثر بالعلمانية. وفي أواخر السبعينيات بـدأت هـذه الجماعـات تهـتم بالشئون السياسية والاقتصادية وتحولت إلـى قـوة سياسية فاعلة ومؤثرة، تدافع عن الاقتصـاد الحـر والتفوق العسكري الأمريكي. وكان لنشاطهم فـي حملات ريجان R. Reagan الانتخابية وقربهم من إدارته دور كبير في صعود قادتهم وتزايد تأثيرهم على عملية صنع القرار وصياغة الخطاب السياسي الأمريكي في عقد الثمانينيات (١٩)

نأتي إلى شكل آخر من الإحياء الديني فـي المجتمع الأمريكي، حيث شهد هذا المجتمـع فـي الربع الأخير من القرن الحالي، وبشـكل ملحـوظ نموا في أعداد الأفراد الذين ينتمون إلى فئـة مـا يسمى بالديانات الجديدة. حيث ظهرت أنواع مـن النحل والطوائف Sects والفـرق الدينيـة ليسـت جميعها على علاقة بالديانة المسيحية، وإنمـا يعـد بعضها تفرعا من ديانات أخرى، في حـين يكـاد يكون البعض الآخر نوعا من الديانة المستقلة التي تستقي أصولها من دين بعينه، ثم تطور أفكارا ذاتية تجعلها متميزة عن الدين الذي تولدت عنه، ويعـد المجتمع الأمريكي سوقا مركزية لهـذه الـديانات الجديدة. فهو بمثابة الأرض التي تتفرخ فيها هـذه الديانات الجديدة، حتى تلك التي لها جذور آسيوية، ومنه تصدر إلى باقي العالم. وتشير الإحصـاءات إلى أن عدد المنتمين لهذه الديانات في المجتمعـات الغربية بالإطلاق، كان ٧٦ مليونـا و ٤٤٣ ألـف

شخص في عام ١٩٧٠، ثم وصل إلى ١٠٨ مليون و ٥٠٥ آلاف شخص في عـام ١٩٨٦ م. ويقـدر أتباع هذه الديانات والطوائف في الولايات المتحدة الأمريكية بعشرين مليونا من الأمريكيين يتوزعون على طوائف دينية عديدة يصعب وضعها جميعا في سلة واحدة. فإذا كان الدين والغيبيات يجمعان بينها، فإن بعضها ينهض برسالة دينية فحسب، في حـين أن بعضها الآخر ينطوي علـى السياسـة والمـال والمخدرات والفضائح الأخلاقية (٢٠).

ونذكر من هذه الطوائف جماعـة " معبـد الشعب "، وهي الطائفة الشهيرة إلى تزعمها جـيم جونز Jim Jones والتي قامت بانتحار جماعي في نوفمبر ١٩٧٨ مات فيه ٩١٢ من أعضائها. وأيضا طائفة كريشنا Krishna، وهي عقيدة دينية (بوذية)، أتباعها من الشباب، يرتدون الملابس الهنديـة، وهم نباتيون ويمتنعون عن التفكير إلا في الأمـور التي تحض عليها العقيدة، ويعتمدون على الـرقص

والغناء والتأمل لتطهير أفكارهم والتلاشي والذوبان في اللانهائي ومن الطوائف التـي تتمتـع بشـهرة عالمية من حيث عدد الذين ينضوون تحت رايتهـا ويصل عددهم إلى الملايين في القارات الخمـس، طائفة مون Moon التي أسسها صن ميونج مون Sun Myung Moon في عام ١٩٥٢ في سـيول بكوريا الجنوبية، ثم انتقلت إلى الولايات المتحـدة الأمريكية. ويقدر عدد الكوادر المتفرغـة للعمـل الكامل في تجنيد الأفراد لهذه الطائفة بنحـو مائـة ألف شخص. وهي منظمة ترتبط بعلاقـات قويـة برجال السياسة ذوي المسئوليات العليا على مستوى دول العالم.. وتعتبر هـذه المنظمـة مـن أكبـر الجماعات السياسية ذات التوجه المعلن في العـداء للشيوعية ولحركات التحرر الوطني، وهي تناصر وتساند الحركات اليمينية والحكومـات العسـكرية المناهضة للتحرر الاجتماعي والوطني في العـالم الثالث. وتمتلك الطائفة جهـازا إعلاميـا ضـخما

وتنظيما متعدي القومية، وتقوم المخابرات المركزية الأمريكية بدور هام في تحريك هذه الطائفـة بـل والسيطرة على أنشطتها. وقد ساندت الطائفة العديد من الانقلابات العسكرية في أمريكا اللاتينية. كمـا أثارت الأنشطة التي تقوم بها على الصعيد العالمي العديد من الفضائح المرتبطـة بالـدعارة وتجـارة المخدرات (٢١).

والظاهرة الأخيرة التي نرصـدها، والتـي شكلت في مجملها - ومـع الظـواهر السابقة - مؤشرات على الإحياء الأصـولي المسـيحي فـي المجتمع الأمريكي خلال الربع الأخير من القـرن الحالي، تتمثل في اقتحام جيـل مـن المحـافظين الأمـريكيين الجـدد Neo – Conservatives، والذين يمثلون ما أصبح يعرف باليمين الأمريكـي الجديد The New Right، اقتحامهم بقيادة رونالد ريجان R. Reagen البيت الأبـيض عـام ١٩٨٠ معلنين بداية تأسيس جمهورية أمريكيـة محافظـة

Conservative، تسعى لإحيـاء القـيم والتقاليـد الموروثة، وتعادي التغيرات الجديدة في العلاقـات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتعمـل علـى ترسيخ الإيمان بالحرية الفردية والحد من سـيطرة الدولة، ومعاداة تدخلها في الاقتصاد، ورفض أيـة محاولة لإعادة توزيع الثروة، فضلا عن إشـاعتها للنزعة الوطنية المتطرفة وما يرتبط بها من اعتقاد بأهمية القوة العسكرية والتفـوق العسـكري فـي السياسة الخارجيـة. وارتـأت جماعـات اليمـين الأمريكي الجديد أن إنجاز تلك المهمة المقدسة التي تحمل تبعتها، إنما يقتضي تطهير وطن الأجداد من أولئك الأمريكان أعداء التفوق الأمريكي المطلق في العالم، والذين أصبحوا أسرى الليبراليـة والإلحـاد والجماعات الضالة المناهضة لحروب أمريكا ضـد الأشرار في كل مكان من العالم (٢٢).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه التصورات التي طرحها اليمين الجديد قد شكلت المحاور الأساسـية

للخطاب السياسي الأمريكي في عهد ريجان ١٩٨٠ - ١٩٨٨. فهو يدعو إلى استعادة روح البطولة الأسطورية للأجداد الذين أسسوا الوطن، ويروج للدور التاريخي الإنساني الذي اختص به القدر أمريكا دون البشر أجمعين لمطاردة وعقاب الأشرار وحماية ودعم الأخيار على اتساع العالم كله. والمعيار في التمييز بين الأخيار والأشرار معيار أمريكي بحت وذو صبغة دينية تنفرد بتحديده جماعات اليمين الجديد التي حكمت أمريكا منذ مطلع الثمانينيات، والتي سعت لإضفاء مسحة من القداسة على اختياراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية لتبرير هذه الاختيارات لدى الأمريكيين، وذلك بتغليفها بنظرة مسيحية أصولية وتفسيرات حرفية للنبوءات التوراتية والإنجيلية الوارد في الكتاب المقدس. يعني هذا، أن الإدارة الأمريكية التي تولى ريجان رئاستها منذ مطلع الثمانينيات تبنت موقفا واضحا بخصوص استخدام

الدين لتسيير سياستها ولأغراض أيديولوجية وسياسية تدعم خياراتها وتوجهاتها (٢٣).

ثالثا: السياق البنائي والفكري لصعود الأصولية المسيحية:

نتعرف هنا على التغيرات البنائية التي شهدها المجتمع الأمريكي في عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الحالي، وما سبقها وواكبها من تيارات فكرية كونت في تلاحمها السياق الاجتماعي الملائم لاستخدام الدين لأغراض أيديولوجية وسياسية، ومن ثم دفع بالحركة الأصولية المسيحية إلى الازدهار والصعود. ويرى الباحث أن ثمة تيارين فكريين مهدا المناخ الفكري لصعود الأصولية المسيحية السياسية في الربع الأخير من القرن الحالي في المجتمعات الغربية الرأسمالية علىالإطلاق والمجتمع الأمريكي على وجه الخصوص، التيار الأول هو تيار نهاية

الأيديولوجيا، أما التيار الثاني، فقد تمخـض عـن تفكك حركات الشباب في مايو ١٩٦٨ وما تبع هذا التفكك من تفجر لتنظيمات دينية ودعاوى للعـودة إلى ما قبل المجتمع التكنولوجي، أما فيمـا يتعلـق بالتغييرات البنائية، فسنحاول إلقاء الضـوء علـى طبيعة وأبعاد الأزمة البنيوية التي خبرها المجتمـع الأمريكي منذ السـبعينيات، وصـعود الريجانيـة كتعبير عن فلسفة اليمين الأمريكي الجديد في مطلع الثمانينيات ومحاولتها لإحياء الحلم الأمريكي، وأثر ذلك كله في ازدهار التيـار الأصـولي المسـيحي السياسي داخل المجتمع الأمريكي.

أ - نهاية الأيديولوجية والعودة إلى تراث ما قبـل التنوير:

في عام ١٩٦٠، نشـر عـالم الاجتمـاع الأمريكي دانيال بل D. Bell كتابا يحمل عنوانـا هو نهاية الأيديولوجيا The End of ideology " حول نهاية الأفكار السياسية في الخمسينيات (٢٤

) وفي هذا الكتاب قدم بـل Bell شـهادة الوفـاة الطبيعية للأيديولوجيا السياسية. فقد ارتأى " بـل " أن عصر النظريات القائمة على مصالح طبقـة أو مجموعة اجتماعية قـد انتهـى، فالأيـديولوجيات القديمة، يعني الماركسية والليبرالية، قد وصلت إلى طريق مسدود، وأثبتت إفلاسـها كبـديل لمسـتقبل البشرية عوضا عن الدين. يقول " بـل ": إن هـذه الأيديولوجيات قد استنفدت، ولا يتضح من تاريخها إلا حقيقة واحدة، وهي أنهـا فقـدت مصـداقيتها وقدرتها على الإقناع. فمع تطور المجتمع الصناعي تصبح الفوارق الطبقية أقل تميـزا، وتتجـه إلـى الاضمحلال والتلاشي، ومن ثـم تحـل المعالجـة العلمية الخالصة للقضايا الاجتماعية والاقتصـادية محل المعالجة الأيديولوجية. وتتسم هذه المعالجـة العلمية بأنها مستقلة عـن الطبقـات والاعتبـارات السياسية، وتستند إلى معايير دقة البيانات وتحسين تكنيك البحث وكفاءة النتائج، ومن نمـو وسـيطرة

أسلوب التفكير التكنوقراطي Technocracy ينبثق أمامنا مجتمع لا يسترشد بالاعتبارات الأيديولوجية، وإنمـ ـا بـ ـالعلم والترشـ ـيد أو " العقلانيـ ـة " Rationalization وهذا هو مجتمع المسـ ـتقبل (٢٥).

وبهـ ـذا المعنـ ـى يـ ـرى بـ ـل إن عصـ ـر الأيديولوجيا قد انتهى (٢٦).

إن بل في دعوته نظر إلـ ـى الأيديولوجيـ ـة باعتبارها شكلا من أشكال الديانات السياسية الكاذبة والفاسدة. فهي، من وجهة نظره، تحول الأفكار إلى عتلات اجتماعية لتحريك الجماهير. حيث تدار هذه العتلات من أجل التأثير على الرأي العـ ـام وعلـ ـى وعي البشر وفقا لأهداف سياسية معينـ ـة، بغـ ـض النظر عن صحة مبادئها، لأنها تهدف فحسب إلـ ـى خدمة مصالح القوى المتصارعة، ولذلك ذهب " بل" إلى أن العقود التي ستلي عقد الخمسينيات من هـ ـذا القرن سوف تشهد نهاية أيديولوجيات القرن التاسع

عشر كأنظمة عقلية كان باستطاعتها ادعاء امتلاك الحقيقة، وادعاء صحة وحقيقة وجهات نظرها حول العالم (٢٧).

واتساقا مع تصوراته، اعتقـد " بـل " إن المجتمع الأمريكي قد تغلب علـى كـل مشـكلاته الجوهرية، ولم يعد في حاجة إلـى أي نـوع مـن الأيديولوجيا، فالصراعات الأيديولوجية لم يعد لهـا مكان في عالمنا المعاصر لانتفاء أسباب الصـراع الأيديولوجي العميق الذي اتسم به النصـف الأول من القرن الحالي. وبالتالي لم تعد هناك حاجـة لا للاشتراكية المتزمتة ولا لليبراليـة المتزمتـة، لأن عصر التناقضات الأيديولوجية قد انتهى على حـد تعبير ريمون آرون R. Aroun، أحد منظري تيار نهاية الافتتان والإعجاب بالأيديولوجيات، وانحلال وتدمير واختفاء التركيبـات الأيديولوجيـة (٢٨) واعتقـد "بـل" أن انحـلال وتـدمير واختفـاء الأيديولوجيات الغربية مردودة في رأيه إلى أن هذه

المجتمعات قد حققت قـدرا مـن الاتفـاق العـام General consensus اختفت معه أيـة تيـارات أيديولوجية متعارضة تعكس تعارضا وتناقضا فـي المصالح والأهداف للقوى الاجتماعية. وعلى حـد زعمه، واتساقا مع كل هـذه المقـدمات. تصـبح الأيديولوجيا السياسية، والالتزام السياسي، أمـورا غيـر ضـرورية لخـوض أي نضـال سياسـي واجتماعي داخل ديمقراطيات الوفرة الغربية (٢٩).

ومع اختفاء الأيديولوجيات السياسية الكاذبة والفاسدة، كما ادعى " بل " لا يبقى أمام البشر سوى العودة إلى الدين، الذي ادعت تلك الأيـديولوجيات أنها بديل عنه. وبذلك ينفتح الطريق أمام الأصولية الدينية لتناضل بالمطلق الأصولي (٣٠) وبيـان ذلك في تقديري، على النحو التالي:

في رأي " بل " أن الدين حاجة ضـرورية تعبر عن وعـي البشـر بمحـدوديتهم وتنـاهيهم

ومحدودية قدراتهم، وسعيهم لإيجاد إجابات متماسكة ومترابطة للأسئلة الوجودية التي تقابل كل المجتمعات البشرية والمتعلقة بوعي البشر بوجودهم المتناهي، كيف يقابل المرء الموت؟ وما طبيعة المأزق الإنساني؟ وما طبيعة الواجب والالتزام؟ هذه الأسئلة وغيرها، تعد ثقافي كونية، وهي توجد في كافة المجتمعات الإنسانية. وقد يستطيع الإنسان أن يسيطر على الطبيعة بالمعرفة العلمية وبتطوير قدراته التكنولوجية، ولكن هذه الأسئلة الوجودية تظل قائمة. وهذا في رأي "بل "، هو تاريخ الثقافة الإنسانية التي تتمحور في رأيه، حول الدين. إن الإجابات الوجودية الجوهرية يتم تجميعها داخل إطار عقدي يكون ذا معنى ودلالة لدى أتباع هذا الدين أو ذاك، وهم يمارسون طقوسا معينة تزودهم بالالتزام الوجداني، كما يتم تأسيس بناء تنظيمي يجذب الرعايا المؤمنين المشتركين في

العقيدة والممارسات الطقوسية، ويحققون استمرارية هذه الشعائر والطقوس من جيل إلى جيل (٣١).

وبقدوم التنوير حدث ما أسماه " بل " بالانتهاك العظيم لحرمة الدين والمقدسات، فظهرت بدائل فكرية عقلانية للإجابات الدينية، وكانت هذه البدائل تسعى إلى تحرير البشر من الأوهام المصاحبة للأديان التقليدية. وتعد الأيديولوجيات السياسية أو الأديان السياسية، كما يسميها " بل " أحد هذه البدائل. ولكن عبثا تحاول، فقد ثبت كذبها وفسادها. فهي على اختلاف أنماطها وتركيباتها النظرية، وما تنطوي عليه من مسلمات علمية واجتماعية، لم تعجز فحسب أمام التحديات التكنولوجية والحروب ومشكلات الفقر، بل ساهمت إلى حد كبير، في تبرير التسلط والقهر السياسي واللاتسامح والعنف في أنحاء كثيرة من العالم. فالرأسمالية التي استندت إلى أسطورة النمو كانت تضحياتها باهظة وانتهت بإحالة البشر إلى سادة

وعبيد. والاشتراكية أيضا قامت علـى أسـطورة الثورة، ولكنها انتهت بهيمنة بعض البشـر علـى البعض الآخر. والمحصلة أن هذه الأيـديولوجيات السياسية، في رأي " بل "، فقدت تأثيراتهـا علـى الذاكرة الاجتماعية وتضاءلت فاعلية وظائفها بشكل ملحوظ في العقود الأخيرة من القرن الحالي (٣٢).

وفي تقديري أن هذه المقدمات التي ساقها دانيال بل، والنتائج التي انتهى إليها، تـدعو إلـى استبعاد هذه الأيديولوجيات السياسية والتـي تعـد إفرازا للتنوير، والعودة إلى تراث ما قبل التنـوير، أعني العودة إلى الماضي بحثا عن الأصول التـي يمكنها أن تمنح الإنسان نسقا فكريا مغايرا. وفـي تقديري أن هذا الاستبعاد، وتلـك العـودة، كانـت التبرير النظري الذي قدمه " بل " لتـدعيم صـعود الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية.

ب - تفكك حركات مايو ١٩٦٨، والانتقـال مـن السياسي إلى المقدس:

في بداية الستينيات مـن القـرن الحـالي، اجتاحت حركات الطلاب وانتفاضات الشباب كـل المجتمعات الرأسمالية، خاصـة فرنسـا وألمانيـا والولايات المتحدة الأمريكيـة. وتكشـف أسـباب تفجرها عن طبيعة وعمق الأزمة البنيويـة التـي شهدها النظام الرأسمالي منذ أواخـر السـتينيات، والتي استمرت حتى اليوم وإلـى سـنوات عديـدة لاحقة (٣٣). وقد جاءت هذه الحركات كرد فعل مباشر لتناقضات النظام الرأسمالي وما يمارسه من إكراه وكبح وسيطرة على الأفراد من خلال وسائل الإنتاج، وعدم إتاحته الفرصة أمام جيـل الشـباب ليشارك ف صنع مستقبله (٣٤).

واندلعت مظاهرات الشـباب فـي مـايو ١٩٦٨، واحتلوا الجامعات وتلاحموا مـع العمـال معلنين رفضهم لمجتمعاتهم المانعـة مـن عمليـة

التواصل بين الأفراد من أجـل تأسـيس مجتمـع طبيعي يكون الحوار فيه ممكنا، ففي هذا المجتمـع المصطنع يكون كل فرد فيه محصورا فـي عملـه وتخصصه، والمنتجـون والمسـتهلكون محـض موضوعات خاضعة لآليات اقتصادية عمياء. وهذا المجتمع لا يهتم إلا بالتقدم العلمـي وبيروقراطيـة الدولة والمؤسسات الاحتكارية، وهو ينتج حاجـات الإنسان الغريزية مهملا حاجاته الثقافيـة والفنيـة والسياسية والاجتماعية والفلسفية. ولقد أثـار هـذا النظام، بعقلانيته المفرطة، مشاعر الخوف والتذمر والسخط في صفوف الشباب، فكان رفض النظـام برمته وبما ينطوي عليه من أساليب تعليميـة، ثـم تحول هذا الرفض إلى أعمال قائمة على العنـف. حيث ارتأت جمـوع الشـباب أن بنـاء المجتمـع الراهن، والذي يرفضونه، لن يتحطم مـن خـلال الكـلام أو المنشـورات السـرية (٣٥). وفـي الولايات المتحدة الأمريكيـة، تجـاوزت مطالـب

الطلاب القضايا الجامعية إلى القضايا الاجتماعيـة، فطالبوا برفع أجور العمال الزنوج، وإدخال مناهج خاصة بالعلاقات العنصرية بين البـيض والسـود، ودعوا إلى نبذ العلاقة بـين الجامعـة والمركـب الصناعي العسكري، وطـالبوا الجامعـات بإدانـة الحرب الفيتنامية (٣٦).

وثمة عاملان مسئولان عن بزوغ حركـة الطلاب الأمريكية فضلا عن الأزمة العامة للنظـام الرأسمالي العالمي، العامـل الأول: هـو تكـوين جماعة شبه طبقـة متجانسـة ومتصـاعدة وهـم الطلاب. وذلك أن النمو المطرد في أعدادهم فـي المجتمعات الأمريكية منذ نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، وانتقال وظائف التطبيع والتنشـئة إلـى المدرسة، ووسائل الإعلام، والدخول المتأخر إلـى سوق العمل والبناء الاجتماعي للشباب من حيث هم شريحة استهلاكية، كل هذه العوامل خلقت جماعـة تضم بين جناحيهـا قطاعـا كبيـرا ومهمـا مـن

البرجوازية الصغيرة، تعي ذاتها وتدخل مباشرة في صراع مع الرؤية الكونية للأجيال السابقة. والأمل الثاني: هو أن هذه الجماعة، شبه الطبقـة، والتـي تتسم بنقاء الضمير أصبحت تواجه بشكل متصاعد عددا من العقبات والتهديدات اضطرتها إلى الصدام مع النظام الاجتماعي، فثمة مقاومة من قبـل هـذا النظام الاجتماعي المحكوم بالأخلاق البروتسـتانتية وبقيم التضحية والعمل، هو مجتمع يهتم بالإنتـاج أكثر من اهتمامه بالخدمات، وهناك أيضا التجنيـد الإجباري بسبب حرب فيتنام، هذا فضلا عن تفـاقم المشكلات المواكبة لازدياد حـدة أزمـة النظـام الرأسمالي كالبطالة والتضخم والجريمة والمخدرات (٣٨).

وبفضل هذه العقبـات، السـالف ذكرهـا، توحدت شبه الطبقة هذه في دفاع عقلاني يستند إلى نقد شامل للمجتمع الأمريكي. وشيدت أيـديولوجيا خاصة بها وأفرزت حركتين اجتماعيتين تعبـران

عما يتسم ويتميز به تمرد البرجوازية الصـغيرة. فمن جهة لدينا رفض المجتمع الصناعي الذي خلق كل هذه المشكلات، ودفاع عن العودة إلى ما قبـل المجتمع الصناعي بأشـكاله الاجتماعيـة ورؤيتـه الكونيـة. وكانـت حركـة الهيبـز hippies movement بشـعورهم الطويلـة ومظهـرهم المتدني، تجسيدا لهذا الرفض. وقد اكتفى الهيبز بنقد الملامح السطحية للمجتمع الأمريكي دون أن يقدموا أي بديل، كما أنهم كانوا يرفضون العمل وانغمسوا في تعاطي المخدرات، ومن ثم فإن وعيهم السياسي لم يرق إلى مستوى الفعل السياسي. ولذلك لم يكـن الهيبز سوى متمردين في قاع المجتمع الرأسمالي. ومن جهة أخرى، وعلى النقيض تماما، كان لـدينا نقد سياسي للمجتمع الأمريكي، وهـو نقـد متـأثر بالماركسية وبالجماعات المنبوذة على نحو ما جاء في أطروحات اليسار الجديد، فقد كان حركة نفـي للعالم القائم بسلبه مشروعية الوجود والاسـتمرار،

وفي الوقت ذاته قوة بناء ترفض العالم مـن أجـل تغيره إلى الأفضل استنادا إلى تصور فكري محدد يسعى اليسار الجديد لتجاوزه وتحويله إلـى واقـع ملموس (٣٨).

ومن المعروف أن هربرت مـاركوز H. Marcuse من أبرز منظري اليسار الجديد. وقـد سعى إلى تحليل بناء المجتمع الرأسمالي والكشـف عن تناقضاته الداخلية. وفـي رأيـه أن المجتمـع الرأسمالي صار مجتمعا تكنولوجيا حيث يقوم فيـه جهاز الإنتاج بدور شمولي. فهو لا يكتفي بتحديـد الوظائف والمهارات المطلوبة، بل يتجاوز ذلك إلى تحديد حاجات الفرد وتطلعاته. يتساوى في ذلك كل من المجتمع الرأسمالي والمجتمع الاشتراكي، لأنهما في نهاية المطاف لـن يكونـا سـوى مجتمعـات تكنولوجية شمولية. وهذا المجتمع التكنولوجي مـن شأنه أن يخلق الإنسـان ذا البعـد الواحـد One Dimensional man أي الإنسـان التكنولـوجي

الأحادي الذي يحيا بلا حرية. ففي الوقت الذي تقدم فيه المجتمع من الناحية التكنولوجية، فإن هذا التقدم لم يستطع أن يضمن للإنسان حريته واستقلاله، لأن النظام القائم يفرض عليه بعدا واحدا فـي التفكيـر والسلوك ويغرسه فيه من خـلال تسـلط وسـائل الإعلام التي تغرق الفرد بطوفان من المعلومـات والفرضيات المغلوطة التي تهـدف إلـى تجميـد الوضع الراهن على ما هو عليـه دون أن تتـرك للفرد حرية التفكير في الجانب المعاكس أو الـرأي المضاد (٣٩).

وارتأى ماركوز أن الحضارة التي خلقهـا المجتمـع التكنولـوجي، حضـارة قـاهرة لكـل الإمكانيات الإنسانية، فإذا كانت الحضارة تحتاج في تقدمها إلى فرض قدر من الكبت، إن جاز لنـا أن نستخدم مفاهيم التحليل النفسـي الفرويـدي، فـإن الإنسان في الحضارة التكنولوجية صار يعاني مـن الكبت الفائض، حيث أصبح الإنسان أكثر خضوعا،

وأصبحت آليات المجتمع، لإخضاعه، أكثر خـداعا ومراوغة. وقد أكمل هذا المجتمع عملية الإخضاع والقهر بالاتجاه إلى فرضهما خارج الحدود، أي في أطراف النظام الرأسمالي أو المجتمعات المحيطـة والتابعة (٤٠).

ويترتب علـى ذلـك أن يكـون البـديل المطروح لتغيير هذا الوجود ذي البعد الواحد، هـو التفكير السلبي الذي يرفض الاشتراك فـي اللعبـة المفروضة بواسطة الصـفوة الحاكمـة ووسـائل الإعلام. ولذا كان من الطبيعي أن يدعو مـاركوز الأفراد إلى رفض هذا المجتمع الصناعي ذي البعد الواحد بزعم شمولية التكنولوجيا وتناقضـها مـع سعادتهم وقهرها لإمكانياتهم وإبداعاتهم، وذلـك إذا ما أرادوا مزيدا من الحرية واستقلال التفكير.

وفي تقديري، أن هذه أيضا، دعوة للعـودة إلى ما قبل المجتمع الصناعي بأشكاله الاجتماعيـة ورؤيته الكونية. وشاهد على ذلك، أنه مـع تـأزم

حركة الطلاب والضعف التدريجي الذي أصابها في السبعينيات، وتفكك تنظيماتها، انفجرت في أوساط الطلاب، وعلى وجه الخصوص، في المدن الكبيرة، تنظيمات دينية، وشاعت بينهم القيم المقدسة، وانتشرت الجمعيات والاتحادات الدينية التي تنتمي إلى الكنائس الأصولية. كما انتشرت الأبحاث التي تدور حول البحث عن القوى المختبئة في الواقع أو في أعماق الذات البشرية. وشاهد على ذلك إحياء ما يسمى بعلوم السحر والتنجيم والمعرفة الإشراقية والصوفية والترويج لإمكانية التحكم في هذه القوى غير المنظورة والخفية ومحاولة استخدامها في تحقيق غاياتنا (٤١).

يعني هذا، أن حركة الطلاب، والتي بدأت علمانية تمارس النقد السياسي والاجتماعي للمجتمع الرأسمالي، أصبحت مجالا لإنتاج ما هو ديني ومقدس، والذي سعى بدوره إلى القضاء على البعد العلماني للحركة. وهذه مفارقة، نجد تأويلا لها في

شيوع دعاوى عدم جـدوى الالتـزام السياسـي، وإحساس الشباب بالخداع والعجـز أمـام الآليـة الجبارة والطاغية للنظام الرأسمالي المتقدم، فضـلا عن العوامل الاقتصادية والاجتماعيـة المرتبطـة بأزمة هذا النظام.

جـ ـ الريجانية وموت الحلم الأمريكي:

في نوفمبر عام ١٩٨٠ م، كـان المجتمـع الأمريكي يبدو غارقا في حالة من الإحباط واليأس. فقد كانت حقبة السبعينيات كلها تقريبا عبارة عـن سلسلة من الهزائم المتواصلة التي لحقت بـالمجتمع الأمريكي. باءت بهزيمة سياسية، بـل وعسـكرية أيضا في فيتنام انتهت بهزيمـة سياسـية وعجـز عسكري أيضا في إيران. شهدت الفترة نفسها أيضا تراجعا في المكانة الاقتصادية للولايـات المتحـدة الأمريكية.

فمما لا شك فيه أنها كانت القوة الاقتصادية والتكنولوجية والمالية الأولى في العالم المعاصـر،

ولكن هذه القوة بدأت منذ مطلع السبعينيات الدخول في طور التآكل. فالولايات المتحدة الأمريكية لم تعد منذ ذلك التاريخ قادرة علـى مواجهـة المنافسـة الاقتصادية والتجارية والتكنولوجية التـي تمتلكهـا القوى الاقتصادية الصـاعدة لليابـان، ومجموعـة السوق الأوربية المشتركة التي انتقل إليهم مركـز الثقل والريادة مع انحدار القوة الاقتصادية الأمريكية وتدهور مكانتها وأهميتها النسـبية فـي الاقتصـاد العالمي (٤٢).

وتشير الإحصاءات إلـى هبـوط حصـة الولايات الأمريكية في الإنتاج الصناعي في العـالم الرأسمالي إلى ٤٠,٥ في عام ١٩٧١، مقابـل ٥٥ % في بداية الخمسينيات، وكانـت حصـتها فـي صادرات العالم الرأسمالي قد انخفضت أيضا إلـى ١٤,٢ % في بداية السبعينيات، في حين أنها كانت ٣٣ % فـي بدايـة الخمسـينيات. كمـا هبطـت احتياطيات الذهب لديها من ٧٤ % من إجمالي هذه

الاحتياجات إلى حوالي ٢٥ % منها، وكان قـرار الرئيس الأمريكي نيكسون Nixon بفك الارتبـاط بين الدولار وسعر الذهب فـي أغسـطس ١٩٧١، حيث عدلت الولايات المتحدة الأمريكية عن تحويل الدولار إلى ذهب، ومن ثم انخفض الـدولار لأول مرة، وأعقبه انخفاض آخر في فبراير ١٩٧٣. وقد تم ذلك بالطبع لصالح القطبين الآخـرين: أوربـا واليابان (٤٣).

ويكشف انحدار القوة الاقتصادية الأمريكية وتدهور مكانة الأمريكان على صـعيد الاقتصـاد الرأسمالي العالمي، عن جانب من الأزمة البنيويـة العميقة التي شهدها النظام الرأسمالي العالمي منـذ أواخر الستينيات والتي اسـتمرت حتـى اليـوم. ويتضح لنا ذلك من متابعة التغيرات المرضية التي لحقت ببنية وأسـلوب أداء الاقتصـاد الأمريكـي. ونذكر من هذه التغيرات: تلازم التضخم والبطالـة المطردة الارتفاع؛ فمنذ عام ١٩٧٧، أخذت الأسعار

في الارتفاع بتأثير الضغوط التي فرضتها حـرب فيتنام على الاقتصاد الأمريكي، وتخفـيض قيمـة الدولار، ثم كانت فورة الـنفط ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤، مما أدى إلى تصاعد الأسعار بشكل أكثر حدة. ففي السنوات الأولى من حكم " نيكسون " زادت الأسعار بمعدل ٢٠ %. وبلغـت معـدلات التضـخم فـي الولايات المتحدة الأمريكية ١٠ % في عام ١٩٧٤. في حين كان المتوسط بالنسبة للعالم الرأسمالي ككل ٨,١٠ %. أما البطالة، فقد أخذت في ازدياد مطرد. إذ تشير الإحصاءات إلى النسبة المئوية للبطالة من مجموع السكان القادرين على العمل في الولايـات المتحدة الأمريكية كانت ٣,٥ % في عـام ١٩٦٩، وفي عام ١٩٧١ أصبحت ٥,٩ %، ووصلت إلـى ٩,٣ % من مجموع السكان في عام ١٩٨١. وهي معدلات مرتفعة لدى مقارنتها بالـدول الرأسـمالية المتقدمة الأخرى، ففي عام ١٩٨١ كانـت نسـبة البطالة إلى مجموع السكان القادرين على العمل في

اليابان ٢,١ % وفي ألمانيا الغربية ٤,٥ % وفـي المملكة المتحدة ٧,٨ % (٤٤).

وتـتلازم هاتـان الظاهرتـان، التضـخم والبطالة المطردة الارتفاع، على جانب العجز فـي موازين المدفوعات وتقلص حجم التجارة الدوليـة، تباطأت معدلات نمو الاقتصاد الأمريكي، فقد كـان معدل النمو الاقتصادي الأمريكي في الفترة ١٩٩٠ ـ ١٩٧٤ هو ٣,٦ % وفي عام ١٩٧٥ هبط معدل النمو إلى ٢,٥ % (٤٥).

ولقد أدى تراكم هـذه الهـزائم السياسـية والعسكرية والاقتصادية، وما واكبها وتمخض عنها من مشكلات اجتماعية ونفسـية، كتفكـك روابـط الأسرة الأمريكية إذ لم تعد بعـد أسـرة صـحيحة البنية، فالطلاق بنسبة ١: ٢، والأطفـال اللقطـاء بنسبة ١: ٥، وقد أثبت إحصاء عـام ١٩٧٨، فـي الولايات المتحدة الأمريكية، أن الأطفـال اللقطـاء أكثر عددا من الأطفـال الشـرعيين فـي مدينـة

نيويورك، أيضا تفكك علاقات الجوار وغيرها من العلاقات الإنسانية، وتزايدت معدلات العنف وارتفعت معدلات الجريمة وإدمان الخمر، وانتشار المخدرات، وارتفاع معدلات الانتحار، والعزوف عن الإنجاب، والتخلص من الوالدين بوضعهما في ملاجئ العجزة، والتملل الخلقي والاندفاع المحموم نحو ممارسة الجنس خارج الأطر الاجتماعية أو الأخلاقية أو الطبيعية وشيوع الجنس في وسائل الإعلام، لقد أدى كل ذلك إلى إصابة المجتمع الأمريكي بحالة من التفسخ والاكتئاب الجماعي انعكست بدورها على أداء هذا المجتمع في شتى الميادين (٤٦).

وفي هذا السياق كان المجتمع الأمريكي في حاجة إلى نخبة سياسية تهزه هزا وتعيد إليه ثقته في نفسه، وتقدمت أكثر قوى اليمين تطرفا من المحافظين الجدد والمحافظين الدينيين والتي عرفت باليمين الأمريكي الجديد، وطرحت نفسها باعتبارها

أكثر القوى تأهيلا لإنقاذ المجتمع الأمريكـي مـن حالة الركود والتفسخ التي وصـل إليهـا. يقـول ريتشار فيجري R. vigurei (٤٧) مؤلف كتاب " اليمين الجديد مستعد للقيادة ": كما جاء في الكتاب المقدس، يوجد وقت لكل شيء تحت السماء، وقـت لكي نولد، ووقت لكي نموت، وقت للهدم، ووقـت للبناء، ووقت لنصمت، ووقت لكي نـتكلم، وقـت للحرب، ووقت للسلام. وأعتقد أن هذا الوقت هـو المناسب لكي نقود هذه الأمة (٤٨)

وعمدت قوى اليمين الأمريكي الجديد إلـى اختيار العزف على مشـاعر الوطنيـة الأمريكيـة فأطلقت مجموعة من الشعارات ذات الرنين العالي التي تدغدغ غريزة المواطن الأمريكـي المهـزوم نفسيا والتي تمنح اختياراتها السياسية والاقتصـادية والاجتماعية والأمنية صورة براقة، وتضفي عليها مسحة من القداسة بتغليفها بنظرة مسيحية أصولية، وبالنظر إلى أن فكرة " الأمة الرسالة " هي فكـرة

عميقة الجذور في المجتمع الأمريكي، فقد كان يكفي إعادتها واستنفارها لاستثارة الخيال الجمعي للشعب الأمريكي، خصوصا إذا ما أمكن صـياغتها مـن جديد من صورة أيديولوجية تعبوية تروج للنموذج الأمريكي الذي يعد من وجهة نظرهـا أرقـى مـا وصلت إليه النظم السياسية المعاصرة، ومن ثم فهو نموذج عالمي، ويكفي الاقتداء به لحل مشاكل البشر كافة، خصوصا وأن العناية الإلهيـة هـي التـي اختارت الأرض الأمريكية مكانا لهـذا النمـوذج. ووفقا لهذا النموذج تصبح الحكومة الأمريكية مكلفة برسالة إلهية، ليس فقط للتبشير بالنموذج الأمريكي، وإنما أيضا لفرضه على دول العـالم إن اقتضـى الأمر وعمدت هذه الأيديولوجية، كما سيتضح لنـا، إلى بعث قيم الماضي والأسلاف، واسـتندت فـي رؤيتها وتشخيصـها للمشـكلات الراهنـة، إلـى تفسيرات وتأويلات لغوية جديدة لآيات من العهـد القديم والإنجيل.

وانطلاقا من هذه الأيديولوجية، شن اليمين الجديد حملته الانتخابية عـام ١٩٨٢، مؤكـدا أن التقهقر في مكانة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وقتها، مردود إلى التخلي عن القيم الأساسية التـي مكنت المجتمع الأمريكي مـن صـياغة نموذجـه الداخلي، والتقصير في حمل رسالته الإلهيـة إلـى الخارج، وعثر اليمين الجديد في شخصية ريجـان R. Reagan على بطله ومخلصه المنتظـر. فلـم يكن ريجان مجرد ممثل حقيقي وصادق لهذا التيار، ولكنه كان يمتلك أيضـا مـن عناصـر الجاذبيـة الشخصية ما جعله قادرا على التأثير بفاعليـة فـي الأغلبية الصامتة Silent Majority، التي شكلت القواعد الاجتماعية لليمين الجديـد، وهـم أولئـك المواطنون الأخلاقيون، على حد تعبير جيري فلول J. Flowell، الذين عليهم أن يعملوا ويتحدوا لكي يكون صوتهم مسموعا وهو يحددهم علـى النحـو التالي:

- المواطنون الجادون في عملهم والذين أنهكتهم الضرائب العالية وزيادة التضخم.
- صغار رجال الأعمال الذين تغضبهم الإجراءات الحكومية.
- المسيحيون من أتباع الميلاد الثاني والذين يزعجهم شيوع أفلام الجنس في وسائل الأعلام.
- المؤيدون لحق الحياة والرافضون لإباحة الإجهاض والذين يقفون ضد التمويل والدعم المالي والحكومي لعمليات الإجهاض.
- المواطنون الذين يشتعلون حماسا دفاعا عن أمريكا والذين يرفضون منحى الاسترضاء والضعف في السياسة الخارجية للولايات المتحدة. ويذهب فلول J. Foluewell إلى أن هؤلاء المواطنين هم العمود الفقري لأمريكا القوية، وهم المدافعون عن الأسر

الصحيحة والأخلاق والحياة، وعن أمريكا التي تأسست على الإيمان بالله والعمل الجاد، وهم يعملون من أجل أن تعود أمريكا دولة عظمى (٤٩).

وبأصوات هؤلاء، وبأغلبية كبيرة، اقتحم اليمين الجديد بقيادة ريجان البيت الأبيض في الخامس من نوفمبر ١٩٨٠، ليبقى فيه على مدى ثمانية أعوام متتالية، حاول خلالها إحياء الحلم الأمريكي الذي ينهض على أساس تصور معين للرأسمالية يدور حول الالتقاء بين الارتفاع غير المحدود لمستوى المعيشة، وأكبر حرية فردية، وهذا الالتقاء رهن بوهم المساواة في الفرص المتاحة. ولكن، في تقديري، أن السياسات التي انتهجها " ريجان " بدلا من أن تبعث الحياة في الحلم الأمريكي، أردته قتيلا. وسأحاول فيما يلي بيان ذلك:

في الحقيقة، كان صعود اليمين الجديد بقيادة "ريجان" على الصعيد السياسي والاقتصادي، تعبيرا عن مصالح القوى المالية الجديدة ذات الطابع شبه الريعي، أي المقاولون الطفيليون والمضاربون على العقارات خاصة في فلوريدا وكاليفورنيا، وأيضا رجال البترول المناهضين للاحتكارات النفطية الكبرى في الشرق الأوسط والخليج العربي، ورجال السياحة والفندقة، كما كان تعبيرا، وبدرجة كبيرة عن مصالح النخبة الصناعية العسكرية داخل المجمع الصناعي العسكري الأمريكي، والذي يشكل أكثر من ٦٠ % من القدرات الاقتصادية الأمريكية (٥٠)، وهي النخبة التي تتعايش على الإنفاق العسكري لجهاز الدولة، وتتكون من العسكريين المحترفين الرسميين، ووزارة الدفاع الأمريكية، ومديري ومالكي الشركات الكبرى العاملة في ميدان الإنتاج الصناعي - العسكري، والوكلاء الذين يروجون الأسلحة ويعقدون الصفقات المربحة

بين الدول والمصانع، ورجال السـلطتين التنفيذيـة والتشريعية المرتبطين بتلك الشركات (٥١).

وتبنى ريجان مصالح هذه القوى، بانتهـاج سياسة وصفت بأنها شديدة التطرف على الصعيدين الخارجي والداخلي. فعلـى الصـعيد الخـارجي، انطلقت الإدارة الأمريكية في سـباق جديـد نحـو التسلح، وتوسعت في الإنفاق العسكري إلى أقصى حد يمكن أن تسمح به الموارد الأمريكية، وسـعت إلى توفير استثمارات هائلة في مشروعات عسكرية عملاقة، مشكوك في جدواها علميا مثـل مشـروع حـرب النجـوم، وممارسـة سياسـة متصـاعدة للاستفزاز الأمني للاتحاد السوفييتي السابق، والقيام بدور الشرطي العالمي الجديـد لإخمـاد حركـات التحرر الوطني والاجتماعي في العالم الثالث، بعـد اتهام هذه الحركات بإدمان الإرهاب الدولي الـذي تموله وتدعمه إمبراطورية الشر السوفييتية السابقة وارتكز هذا التحرك لـلإدارة الأمريكيـة، علـى

افتراض أن إجبار الاتحاد السوفييتي على الدخول إلى حلبة سباق التسلح سوف يؤدي إلى تقليص الموارد المخصصة لتحسين مستوى الشعب السوفييتي، وتلك المخصصة للحفاظ على السيطرة السوفييتية على دول الكتلة الشرقية، ومد النفوذ السوفييتي إلى دول العالم الثالث. وإذا استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أن تصمد فترة طويلة نسبيا على هذا الطريق، فسوف يتراجع الاتحاد السوفييتي في الخارج، ويتزايد الضغط الواقع على النظام السوفييتي من داخله بما يهدده بالانفجار والانحلال النهائي، وهو ما يمكن أن يفتح الطريق أمام تعميم وشمولية الهيمنة الأمريكية. إن التطورات اللاحقة والتي خبرها النظام العالمي في نهاية الثمانينيات قد جاءت متفقة ومحققة لكل تلك المشاهد أو السيناريوهات التي كانت محتملة وممكنة فحسب عند مطلع الثمانينيات من هذا القرن.

أيضا تحركت الولايات المتحدة خارجيـا، من خلال سياسة نشيطة هدفت إلى تقديم أكبر قدر ممكن من الدعم العسكري والاقتصادي والسياسـي للنظم والقوى المناهضة للشـيوعية فـي الـداخل، والاتحاد السوفييتي في الخـارج، واتسـع ميـدان عملياتها ليشمل العالم كله من أفغانستان وكمبوديـا في آسيا، إلى أنجولا في أفريقيا، إلـى نيكـاراجوا والسلفادور في أمريكا اللاتينية. ووجد ريجان فـي التدخل السوفييتي في أفغانستان، كما كانت فيتنـام بالنسبة لأمريكا، مصـدرا مسـتمرا للاسـتنزاف البشري والمادي (٥٢).

وعلى الصعيد الـداخلي، تحركـت الإدارة الأمريكية بقيادة " ريجان " في اتجاه العـودة إلـى الرأسمالية النقية بكل قوانينها الذهبية التقليدية. ففي رأي المحافظين الجدد، أن الليبراليين عمدوا إلـى تهجين الرأسمالية بسلالات فكرية فاسدة وملحدة مما أدى إلى إسقاط بعض قوانينها أو تجميـدها عـن

الحركة الطليقة أو تشويه بعضها الآخر. وهذا فـي رأيهم هو السر الأكبر لتقهقـر وتـردي أمريكـا العظمى، وهبوط مكانتها الاقتصادية. وهو أيضـا أحد مظاهر غضب الله على أمريكا. ولـذا سـعت الريجانية إلى تحرير السوق من كل ما تصـورت أنه يمثل عائقا أمام انطلاق قوى العمل والإنتـاج؛ فسعت إلى خفض سعر الفائـدة، وتقلـيص حجـم الجهاز البيروقراطي، كما اتجهت إلى خفض سعر الفائدة، وتقليص حجم الجهاز البيروقراطـي، كمـا اتجهت إلى خفض النفقـات الحكوميـة، باسـتثناء التسليح، إلى أدنى حد ممكن خاصة ما يتعلق منهـا بالبرامج الاجتماعية كالدعم المالي والمعونة الغذائية والخدمات الموجهة لأكثر الطبقات حرمانا داخـل المجتمع الأمريكي. أيضـا انخفضـت تعويضـات البطالة، وتدهورت الخدمة الصحية والتعليمية لغير القادرين (٥٣). وظهرت جماعات هائلـة مـن الذين لا مأوى لهم، من السود في أغلب الأحيـان،

كما قامت إدارة ريجان بخفض الضرائب وتجميدها عند أدنى حد ممكن دعما للأغنياء بوصفهم الأحفاد الحقيقيين للأسلاف العظام الذين أسسوا أمريكا. وترتب على هذه السياسات حدوث خلل كبير في توزيع الدخل في المجتمع الأمريكي، حيث تراجع الدخل الحقيقي لأربعين مليون أمريكي الأكثر فقرا بنسبة ١٠ % منذ عام ١٩٨٠، وفي الوقت الذي كان فيه الـ ٢٠ % الأكثر غنى في أعلى سلم الدخول يزدادون ثراء الأمر الذي أدى إلى تفاقم حدة اللامساواة في توزع الدخول خاصة في المناطق الحضرية داخل المجتمع الأمريكي (٥٤).

لقد كان طحن المجتمع الأمريكي، وتفاقم أزماته، هو المحصلة لكل السياسات الخارجية والداخلية للريجانية وما تمثله من مصالح. فالسياسة الاقتصادية الريجانية كانت تتعايش على آلة الحرب والإنفاق العسكري بفعل تسعير سباق

التسلح الذي أطلقه ريجان إلى الحد الذي جعل قوى السلام في العالم تصفه بأنه " إله حـرب متهـور " ذلك أن سياساته كانت تهدف إلى زيـادة الطلـب الاقتصادي الفعال في صناعة السلاح، وبالنظر إلى أن القطاع العسكري يكاد يكـون القـوة القـاطرة للصناعة والتكنولوجيا والبحث العلمـي والعمالـة، فهو بالتالي أداة لإنعاش الاقتصاد بصـورة دائمـة عندما تلوح معالم الأزمة. وبـالطبع فـإن القـوة المحركة للقاطرة نفسها إنما تتمثـل فـي الإنفـاق العسكري للدولة، حيث تغدق علـى الاحتكـارات العسكرية والمدنية عقودا عسكرية بمبـالغ طائلـة تساعد على وقف الركود الاقتصادي وبدء موجـة من الإنعاش. وكانت القاعدة التقليديـة أن الإنفـاق العسكري للدولة يمول عن طريق الضريبة، ولكـن الضرائب، وكما ذكرت قبلا، قد خفضت إلى أدنى حد ممكن كمنحة من " ريجان " للأغنياء، وبالتالي فمن الطبيعي أن يتم تمويل الإنفاق العسكري بزيادة

الإنفاق العام للتسليح ويتم ذلك، في جانب منه، عن طريق الاقتطاع من الإنفاق الاجتماعي، والاقتراض الدولي لدعم مشتريات السلاح الأمريكي. وقد لجأت الدولة إلى العجز في الميزانية حتى بلغ العجز فـي ميزانية الدولة ٢٠٠ دولار في عام ١٩٨٦. وتشير الإحصاءات إلى تضـاعف حجـم الـدين العـام الأمريكي من ٣٠٠ مليار دولار سنة ١٩٦٧. إلـى أكثر من ألف مليار دولار عام ١٩٨٢، ثم إلى ألفي مليار دولار في عام ١٩٨٦. وبلغ الدين الخارجي في عام ١٩٨٧ مبلـغ ٥٠٠ مليـار دولار بحيـث أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تحتل المكانـة الأولى في سلم المديونية العالمية (٥٥).

ومع قرب نهاية الألفيـة الثانيـة، بـدا أن الولايات المتحدة الأمريكية تدخل أزمة كان قدومها يؤجل باستمرار، ولكن هذه المرة كانـت الأزمـة تضرب المجتمع الأمريكي بشدة معلنة بداية النهاية للحلم الأمريكي. فأمريكا تنوء تحـت جبـل مـن

الديون، وتعاني من خلل كبير في توزيـع الـدخل وزيـادة التلـوث، وتـدهور الخـدمات الصـحية والتعليمية لغير القادرين، ومعدلات البطالة آخذة في التصاعد، والنمو الاقتصادي يتسم بالبطء والركـود والتضخم الجامح، مع صعود الأنشطة الاقتصـادية ذات الطبيعة الطفيلية، فضلا عن تضـخم مشـكلة المخدرات وارتفاع معدلات الجريمة (٥٦).

وقد شكلت الأزمة بأبعادهـا الاقتصـادية والاجتماعية والسياسية والأيديولوجيـة والنفسـية مناخا صالحا لانتعاش دعاوى العودة إلى الأصول وإلى المقدس مرة أخرى بحثا عـن مخـرج مـن الأزمة الضاربة في أعماق المجتمع الأمريكي.

رابعا: اليمين الجديد والغالبية الأخلاقية، الأصولية المسيحية في الحكم:

تحقيق لنبوءة وتجسيد الوهم:

في أعقاب الحرب العالمية الأولى ازدهرت الأصولية المسيحية كحركة دينية محافظـة داخـل الكنائس البروتسـتانتية فـي الولايـات المتحـدة الأمريكية، وكانت تهتم بشكل أساسي بالمعتقـدات المسيحية الشعبية التقليدية، كما كانت تتسم بجهودها العدوانية الساعية لفرض معتقداتها على الكنـائس الأخرى، والمدارس العامـة ومـدارس الطوائـف الدينية داخل المجتمع الأمريكـي. وكانـت همـوم الحركة الأصولية المسيحية الأمريكية، فـي ذلـك الوقت، تتركز في ترسيخ الإيمان بعدد من المبادئ، كالقول بعصمة الكتاب المقدس وما ورد فيـه مـن معتقدات، والولادة البتولية الأولى للمسـيح، وآلام

المسيح وموته تكفيرا عن خطايا البشـر، وقيامـة المسيح الثانية، والاعتقاد الواثق والجازم بمعجـزة الإنجيل (٥٧).

وفي مبدئها، وقفت الحركة بشكل مباشـر في مواجهة العناصر اللاهوتية الليبراليـة داخـل الكنائس الأمريكية، كما كانت علـى الضـد مـن التأثيرات العلمية والعلمانية في الحضارة الأمريكية، وكان ذلك الموقف مردودا إلى أفكـار اللاهـوتيين الليبراليين، وقفت تشكك في قصة الخلـق الإلهـي الواردة في سفر التكوين، بسبب ما أحرزته علـوم الجيولوجيا والبيولوجيا من تقدم، كما كانت تنظـر إلى خطيئة الإنسان كما وردت في سـفر التكـوين على أنها محض تفكير بدائي وساذج، إذ ليس ثمة، في رأيها، وجود لما يسمى آدم وحـواء وارتـأت الحركة الأصولية المسيحية، أن قبول هذه الأفكـار يعني بطلان سفر التكوين وبالتالي، فإذا كان سـفر واحد باطلا، فالأسفار الأخرى، جميعهـا، تكـون

باطلة. وتأسيسا على ذلك اعتبرت قصة الخلق الإلهي الواردة في الكتاب المقدس ونظرية التطور المعارضة لها - المسألة الرئيسية في الخلاف والجدل الأصولي المسيحي الأمريكي، والتي استمرت حتى العقود الأخيرة من القرن الحالي، وسعت الحركة إلى ممارسة نوع من الضبط العقدي على المؤسسات التعليمية لإجبارها على الالتزام بالدوجما Dogma الأصولية، كما سعت أيضا لإصدار تشريع حكومي يحظر ويمنع تدريس أي كتاب ينطوي على أية نظرية تنكر قصة الخلق الإلهي للإنسان والكون أو تحاول أن تروج للنظرية الداروني القائلة بانحدار الإنسان من سلسلة طويلة في النظام الحيواني (٥٨).

ولقد توافق بزوغ وصعود الأصولية المسيحية مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية المتسارعة التي شهدها المجتمع الأمريكي في مطلع القرن الحالي، وما ارتبط بهذه التحولات من صراع

بين الثقافة والقيم الحضرية المتأثرة بالعلم الحديث والحضارة الصناعية من جانب، والثقافة والقيم الريفية التقليدية المنحدرة من مجتمع الرواد الأوائل بتقاليده المحافظة من جانب آخر، ففي المناطق الحضرية في أمريكا لم تحقق الأصولية سوى قدر ضئيل من الوجود والنفوذ فقد كان التحديث وما ارتبط به من عقلانية وعلمانية وعلم حديث يؤكد على قدرة الإنسان واتساع نطاق سيطرة البشر على عالمهم المحيط بهم. وذلك على الضد من الأصولية التي كانت، لا تزال، تشكك في قدرة البشر على مواجهة مشكلاتهم، ومن ثم يجب التعويل على القدرة الإلهية، لذلك سادت الأصولية وانتشرت في المجتمعات المنعزلة والتي كان فيها لتقاليد مجتمع الرواد الفاعلية والتأثير، وهي أيضا ذات المجتمعات التي كانت أقل عرضة لتأثير العلم الحديث والحضارة الصناعية. وفي العشرينيات والثلاثينيات من القرن الحالي. تطورت الأصولية

المسيحية الأمريكية، وأصبح من أهم سماتها التسليم بأن ثمة حلولا دينية أصولية قادرة على إحراز انتصار دولي، وعلى حل المشكلات الاجتماعية كافة، وأن أي فشل يلحق بأي حل أصولي مردود إلى مؤامرات الأشرار، وإن شئنا الدقة، مردود إلى مؤامرات الشيوعيين، كما اتسمت الحركة أيضا برفض أي تأويل جديد للنصوص الدينية (٥٩).

وفي مجال السياسة، عبرت الأصولية الدينية عن نفسها فيما عرف باليمين الراديكالي، والذي تجسد في ثلاث حركات سياسية شهدها المجتمع الأمريكي على مدى الخمسين سنة الماضية، وأول هذه الحركات، الكلفينية، نسبة إلى القس تشارلز كلفن وقد نشأت في الثلاثينيات كاستجابة للأزمة الاقتصادية، والتوتر الدولي بسبب بزوغ الفاشية، والحروب الأهلية الأسبانية، والحرب العالمية الثانية، وكانت الحركة ضد الرأسمالية الكبيرة المتمثلة في البنوك، وضد النفوذ

اليهودي في مجال السياسة، ومع الجنرال فرانكـو فـي مطاردتـه للشـيوعيين (٦٠) والمكارثيـة Mccarthyism، هي الحركة الثانية، وتنسب إلى السناتور مكارثي. وقد نشـأت فـي الخمسـينيات كاستجابة مضادة لقوى الشـيوعية ولمـا أسـماه مكارثي المؤامرة الشيوعية داخل أمريكا والتي أدت إلى ضياع الصين. وقد وجه مكارثي نقـدا عنيفـا لسياسة أيزنهاور في عـامي ١٩٥٣ م - ١٩٥٤ م بدعوى أنها تنطوي على سذاجة في تجاهل تـأثير الشيوعيين في المؤسسات الحكوميـة الأمريكيـة، ولكنه، أي مكارثي، لم يوجه أي نقد لا لليهـود ولا للأقليات الأثنية.

أما الحركة الثالثة، فكانت جمعيـة جـون برش وقد نشـأت فـي السـتينيات فـي مراكـز الأصوليين في هوستن، وبوسطن، ولوس أنجلوس، وكانت غايتها مكافحة الشيوعية، والذي يجمع بـين هذه الحركات هو أنهـا كانـت حركـات وطنيـة

متطرفة، ومعارضة لليبرالية، ومناهضة للمبـادئ الأساسية للمجتمع الديمقراطي، فضلا عن عـدائها للشيوعية. وقد تأسست بالإضافة إلى هذه الحركات، دوائر بحث عديدة تعادي الشيوعية بقيادة القساوسة الإنجيليين، وتنشد كشف أسرار الماديـة الجدليـة. وكان شعارها استحالة السلام مع السوفييت، وقـد بالغ اليمين الراديكالي في عدائه للشيوعية إلى حـد الادعاء بأن الشيوعية تهدد أمريكا ليس في الخارج فقط، بل من الداخل أيضا. حيث اتهمـت قيـادات الحزب الـديمقراطي الأمريكـي بـأنهم أعضـاء ضالعون في مؤامرة شيوعية (٦١).

وفي أواخر الستينيات، ومطلع السبعينيات، نشأ في الولايات المتحدة الأمريكية تنظـيم جديـد يؤلف بين الأصولية الدينية، واليمـين الراديكـالي السياسي، وكان هذا التنظيم هو اليمين الجديد. The New Right وكان ظهوره تعبيرا عن صعود جيل مـن المحـافظين الأمـريكيين الجـدد New

Conservatives والذين سيصبحون القوة الفاعلة والأكثر أهمية على المسرح السياسي الأمريكي في الربع الأخير من القرن العشرين. وثمـة تيـارات ثلاثة شكلت في مجموعها ما عرف باليمين الجديد أو الحركـة المحافظـة الجديـدة New – Conservative Movements فـي المجتمـع الأمريكي. أول هذه التيـارات، هـم الليبراليـون الكلاسيكيون مؤيدو مبادئ حرية الفكـر والعمـل والدعوة للعودة إلى الرأسمالية النقية، فهم يقاومون تهديد الحكومة للحرية وللمشروع الحـر، وحريـة الأفراد. والتيار الثاني، هم المحـافظون الـدينيون الجدد أو الأصوليون المسيحيون السياسيون الـذين يلحون على ضرورة العودة إلى الأصول الدينيـة والتقاليد والمعايير الأخلاقية للأسلاف. وتجسد هذا التيار في حركة الغالبية الأخلاقيـة The Moral Majority بقيادة القس جيري فلـول J. Falwell وقد تكونت هذه الحركة لتقـوم بوظيفـة سياسـية

خالصة، هي جمع القـوى المحافظـة الأمريكيـة وتكتيلها في جبهة للتأثير على السياسة الأمريكيـة، أي إنها لوبي سياسـي Political Lobby وفـي نفس الوقت، فإن الحركة قامت على أسـس دينيـة واضحة كما سيتضح لنا، وهي بذلك، تعد مجـازا، نموذجا فريدا للحزب الديني دون أن تكـون لهـا صفة شرعية كحزب Party برغم أنهـا تمـارس عملها كمؤسسة سياسية. أما التيار الثالـث، فهـو يضم أولئك الذين يـدعون إلـى تعبئـة الغـرب الرأسمالي برمته ليخوض حربـا ونضـالا ضـد الشيوعية (٥٦).

ونعرض فيما يلي لحركة الغالبية الأخلاقية باعتبارها أقوى أجنحة المحافظين الجدد، أو بالأدق اليمين الجديد الأمريكي.

تأسست حركة الغالبية الأخلاقية بقيادة القس جيري فلول في عام ١٩٧٩ م كتنظيم للمسـيحيين المحافظين. وبصفة خاصة الأصوليين البروتستانت

الذين أصـبحوا بالفعـل مسيسـين Politicized ومنغمسين في القضايا السياسية. بزعم أنها قضـايا أخلاقية. وقد أعلن فلول وقتها أن الغاية من تأسيس الحركة، هي غاية قومية، وهي العمل من أجـل أن تعود أمريكا دولة عظمى تقود العالم بأسـره مـرة ثانية. وذلك بتأسيس شبكة دفاع قوية، وتدعيم دولة إسرائيل (٦٣). ولذلك سنرى أن هـذه الحركـة سعت إلى تسعير سباق التسلح بدعوة أمريكا إلـى التفوق العسكري، كما عملت على إنشـاء تحـالف قوي مع الأصولية اليهودية ودولة إسـرائيل، كمـا سنرى أنها قدمت بهذا الخصـوص نسـقا إيمانيـا ينهض على أسس أصولية، ويقوم بتفسيرات لفظية وحرفية للكتاب المقدس وما ينطـوي عليـه مـن نبوءات توراتية وإنجيلية، كما اعتمدت الحركة على حشد جيش من الوعاظ والدعاة الدينيين المحافظين، واستخدمت شبكة قوية مـن التنظيمـات الدينيـة والمؤسسات الإعلامية لترويج وترسيخ معتقـداتها

وتصوراتها واختياراتها داخل المجتمع الأمريكـي طوال عقد الثمانينيات وحتى يومنا هذا.

ارتأى منظرو حركة الغالبية الأخلاقية، أن ما يعانيه المجتمع الأمريكي منذ السـتينيات مـن القرن الحالي من اضطرابات حضرية وعنف فـي الشوارع وصراع أثني، وخسارة الحرب في فيتنام، والاستخدام غير المشـروع للمخـدرات، وشـبح التضخم، وفساد مناخ الأعمـال، والهجـوم علـى الأسرة وشيوع الجـنس فـي وسـائل الإعـلام، والضعف العسكري للولايات المتحدة الأمريكية أمام قوة وعدوانية العسكرية السوفيتية، إن كـل هـذه المشكلات تفاقمـت لغضـب الله علـى أمريكـا، الأمريكيون ابتعدوا عن الله وجحدوا عطاياه لهـم، وانحازوا إلى الملحدين والقيادات المتداعيـة التـي دفعت الأمة الأمريكية إلى حافة الموت في حين أن أمريكا، من وجهة نظرهم، قد قامت علـى أسـاس الإيمان بالله والعمل الجاد وشعارها نحن نعتقد فـي

الله In God we trust على عملتها، يعكس هـذا الإيمان. يقول القـس جيـري فلـول J. Falwell مخاطبا الأمريكيين أفرادا وأمة: إن علينا التوجـه إلى الله لنسأله الغفران لخطايانا، ونصلي له لكـي يحمي أمريكا من أعدائها، ويمنحنا القـوة والإرادة لنصون أنفسنا ووطننا. لقد آن الوقت الذي يتكاتف فيه الأمريكيون الأخلاقيون صفا واحدا، ويبـذلون جهدهم للكشف عن مشـاعرهم وتعريـة الأقليـة الملحدة، المكونة من أفراد خونة، أتيح لهم صياغة السياسة الأمريكية، ولقد جاء الوقت الذي تدرك فيه الأقلية أنها لم تعد بعد تمثل الغالبية من الأمريكيين، والتي أصبحت من القوة بحيث لن تسمح لهم ثانيـة بأن يدمروا أمتهم بما يحملونه من فلسفات إلحاديـة ليبرالية (٦٤).

وانطلاقا من هذا التشخيص الـذي قدمتـه الحركة لواقع المجتمع الأمريكي، نجد أنها حـددت لنفسها مهمة مقدسة هي تأسيس جمهورية محافظـة

وذلك بالدعوة للعودة للقيم التقليدية، وبعث الالتـزام الديني. يقول ريتشارد فيجري أحد رواد الأصولية المسيحية في أمريكا، في رسالته إلى ريجان وقـت أن كان رئيسا للولايات الأمريكية: إن أمريكا فـي حاجة إلى بعث الالتزام الديني، وأنا أحثـك علـى استثمار مهاراتك العظيمة لحث البشر ودفعهم إلـى البحث عن حلول لمشاكلنا الشخصية والقومية عنـد الله، وتقضي تلك المهمة المقدسـة تطهيـر وطـن الأجداد من أعداء التفوق الأمريكي المطلـق فـي العالم، والذين أصبحوا أسرى الليبراليـة والإلحـاد والعلمانية والجماعات الضالة المناهضة لحـروب أمريكا ضد الأشرار في كل مكان، والذين يهـابون ويرتعبون من الحـروب النوويـة مـع الاتحـاد السوفييتي، إمبراطورية الشر والإلحاد، وغيره من الأشرار الآخرين في العالم (٦٥).

وعمد منظرو دعـوة التفـوق العسـكري وحروب الإبادة ضـد الشـيوعية وقـوى الشـر

الأخرى، إلى صياغة أيـديولوجيتهم فـي إطـار مسيحي أصولي يسـتند إلـى نصـوص توراتيـة وإنجيلية رمزية، يقومون بتأويلهـا علـى هـواهم لتكتسب هذه الأيديولوجية مسحة من القداسـة فـي عيون ووجدان الأمريكيين البسطاء بغرض تعبئتهم فكريا وسياسيا لإقرار القبول العـام للاختيـارات الاقتصادية والسياسـية والاجتماعيـة والعسـكرية لليمين الجديـد بقيـادة رونالـد ريجـان. وهـي الاختيارات التي ذكرت قبلا أنها تعبر بالأساس عن مصالح النخبة العسكرية الصناعية داخل المجمـع الصناعي العسكري الأمريكي والتي تتعايش علـى الإنفاق العسكري لجهاز الدولـة وتسـعير سـباق التسلح.

وتعد نظرية أرامجـدون Armageddon التي قدمها قادة التيار الأصولي المسيحي السياسـي الأمريكي مثالا صارخا لتأويل النبوءات التوراتيـة والإنجيلية في اتجـاه يخـدم المجمـع الصـناعي

العسكري الذي يسعى لاستمرار عجلة مصانعه من أجل مزيد من المال والسيطرة.

بداية، تقرر هذه النظرية أن الله أخبرنا سلفا في الكتاب المقدس بكل التطورات الحادثة في العالم اليوم وبكل الزمن الآتي. فثمة حتمية وقصدية إلهية تحكم تاريخ العالم. وإذا كان الله قد أخفى مخططه وتدبيره عن ملايين البشر. إلا أنه الآن يكشف عن هذا المخطط لقادة الأصولية المسيحية الأمريكية المؤمنين أمثال جيري فلول، وجيمي سوجارات، وبات روبرتسون وكينين كوبلاند، وريكس همبرد وغيرهم من القساوسة المبشرين الإنجيليين. تقرر النبوءة: إن إرادة الله اقتضت قيام دولة إسرائيل الكبرى في الأرض الموعودة من الله لشعبه المختار، وإن الله يساعد إسرائيل ويعادي من يعاديها، وإن قيام إسرائيل يؤكد توافر الشرط الذي طال انتظاره من أجل قيام الساعة والعودة الثانية للمسيح، فعندما تقوم إسرائيل الكبرى وتتوسع، فإن

أعـداءها مـن الأشـرار المسـلمين والبـوذيين والعلمانيين والشيوعيين وغيرهم سوف يهاجمونها، مما يؤدي إلى قيام حروب نووية تنتهـي بكارثـة ودمار نهائي لعالمنا. إن تاريخ العالم يتجـه إلـى نهايته بفعل الحتمية التي وضعها الرب في كتابـه وأعلنها للمؤمنين في النبوءات. وعلى المسـيحيين الأخيار المخلصين أن يرحبوا بهذه النهاية الكارثة، أو الحرب النووية، لأنه ما إن تبدأ المعركة النهائية فإن المسيح سوف يرفعهم إلى السحاب، وينقـذهم ولن يواجهوا شيئًا من المعاناة التي تجري تحـتهم على الأرض. فليذهب العالم بأسره إلى الجحيم لأن المسيح، مخلصنا، سـوف يحقـق للقلـة المؤمنـة المختارة سماء وأرضا جديدتين وفي نهاية المحنـة سيعود هؤلاء المسيحيون المولودون من جديد مـع المسيح، كقائد عسـكري لهـم، ليخـوض معهـم أرمجدون لتدمير أعداء الله، ثـم ليحكمـا الأرض بقيادة المسيح ألف سنة لإقامة حكـم الله وتحقيـق

السلام العالمي (٦٦). ولأجل تحقيق النبوة يعـد الدفاع عن إسرائيل عملا دينيا بالدرجة الأولى لأنه يتعلق بثوابت إيمانية وإرادة في نبـوءات الكتـاب المقدس، وليس مجرد موقف سياسي يتأثر بالأحداث المتغيرة، فإسرائيل تمثل لهم تجليا إلهيا وتجسـيما لنعمة إلهية في الطريق من أجل خلاص البشر.

وبما أن الله هو السيد المطلق القوة، الكلـي الجبروت، فإن ما يقرره يجب أن يكون، فإرادتـه نافذة، وليس ثمة رجل أو امرأة يكون في وسـعهما الحيلولة دون تحقيق إرادة الرب، وترى النبوءة أن السيد المسيح حين يعود إلى الأرض مـع أشـياعه سينزل فوق القدس وهي المدينة التي ستكون مقـرا له ومركزا لقيادته. ومن ثم فكل التاريخ الآتي فـي المستقبل يرتبط بأمه إسرائيل، ولذلك يجب دعمهـا وتمكينها من السيطرة على القدس. وإعـادة بنـاء الهيكل مكان المسجد الأقصـى لأن ذلـك شـرطا ضروريا لعودة المسيح. ويلزم من تأويل النبوءات

على هذا النحو أن تأييد ودعم إسرائيل ليس اختيارا أمريكيا يحكم مصالحها واسـتراتيجياتها الكونيـة، وإنما هو قضاء إلهي، وأيضا يكون الوقوف ضـد إسرائيل وقوفا ضد الله وإرادته مما يستدعي غضب الله ونقمته، أيضا يلزم من تأويل النبوءات أن نزع السلاح ومحادثات السلام والحد من التسليح تتناقض مع مشيئة الله. في حين أن بناء القـوى العسـكرية للولايات المتحدة الأمريكية ولحلفائها، لأجل إطلاق الحمم المدمرة على الشياطين أعـداء الله وأعـداء شعبه، يعد تحقيقا للنبوءة وانسـجاما مـع إرادة الله السامية حتى يعود المسيح مرة ثانية ويحكم الأرض (٦٧).

ولترويج هذا النسق العقدِي، عمدت الحركة إلى استخدام القدرات التقنية في وسـائل الإعـلام، والبريد المباشر للاتصال بالأمريكيين، وحثهم على تسجيل أنفسهم لأجل التصـويت فـي الانتخابـات العامة والانخراط في العمل السياسي. فهناك الآلاف

من القساوسة الإنجيليين المحافظين المنتشرين فـي الإذاعات المحلية والقومية، وفي شبكات التليفزيون والصحف اليومية والأسـبوعية، بـل إن الحركـة عملت على إنشـاء محطـات إذاعيـة وشـبكات تليفزيونية خاصة، بها ومن خلال الثقافة المقدسـة التي يقدمها هؤلاء القساوسة أمكن إقحـام القضـايا الأساسية التي تناضل الحركة من أجلهـا، أيضـا سعت الحركة إلى تشكيل تكتلات محافظـة داخـل الحزبين الجمهوري والديموقراطي للعمـل علـى تصعيد النواب المحافظين وخلق أغلبية محافظة في كل من الحزبين (٦٨)

والظاهرة الجديرة بالتسجيل، هي ظهور ما عرف بالكنيسة التليفزيونية أو الكنيسة الإليكترونية ونجومها من زعماء الأصولية المسيحية السياسية، بـات روبرتسـون، وجيـري فلـول، وجيمـي سواجارات، فقد أنشأت الحركة عددا من محطـات التليفزيون الجديدة القومية وبـدلا مـن أن ينتقـل

الأمريكيون إلى الكنيسة لممارسة الشعائر الدينيـة، تنتقل الكنيسة كلية إليهم في بيوتهم. فـالقس بـات روبرتسون، وهو نجم من نجوم الكنيسة التليفزيونية وصاحب نادي السبعمائة الذي يستقطب وحـده ١٩ % من الأمريكيين بما يقدر بحـوالي ١٦ مليـون أسرة أمريكية، وهو يقدم برنامجه لمدة تسعين دقيقة عبر شبكته التليفزيونية المسيحية، كما يمتد نشـاط الكنيسة على خارج الولايات المتحـدة الأمريكيـة حيث يمتلك روبرتسـون نفسـه أيضـا محطـة تليفزيونية في جنوب لبنان فضلا عن محطة راديو، ومراسلين في أكثر من ستين دولة. وفـي مطلـع ١٩٦٨ م بدأت شبكة التليفزيون المسيحية برنامجـا إخباريا لمدة نصف ساعة يوميا، وتقدم أخبارها من وجهة نظر مسيحية أصولية تصل إلى ٢٧,٣ مليون مشاهد أمريكي يشتركون في محطة البث. أما القس جيري فلول وهو واحد من أبرز مجموعة المبشرين الإنجيليين وأكثرهم ولاء لإسرائيل فهو يمتلك أيضا

محطة بث تليفزيونية تبث برامج دينية من ولايـة فرجينيا تعمل على مدى أربـع وعشـرين سـاعة ويبشـرون بنظريـة أرامجـدون فـي الإذاعـة والتليفزيون الأمريكيين عبر ١٤٠٠ محطة دينيـة في الولايات المتحدة الأمريكية. ومن بين ٨٠٠٠٠ قس إنجيلي يذيعون يوميا من خلال ٤٠٠ محطـة راديو، فإن الأكثرية الساحقة منهم مـن المـؤمنين بهذه النظرية. وهم يجعلون تأييد إسرائيل نوعا من العبادة ويشيعون أن خوض معركة أرامجدون أمر ضروري لعودة المسيح إلى القدس وإقامة مملكـة الله على الأرض (٦٩).

ولذلك وفي أثناء الزيارة الأخيرة التي قـام بها رئيس الحكومـة الإسـرائيلية نيتانيـاهو إلـى واشنطن في يناير من عام ١٩٩٨ حرص قبل لقائه مع الرئيس الأمريكي كلينتـون علـى الاجتمـاع بالمئات من المسيحيين الأصوليين الإنجيليين وعلى رأسهم جيري فلويل والذي اختلى بنيتانياهو لمـدة

نصف ساعة بعد ذلك الحشد المسيحي الأصـولي، وفي هذا الاجتماع سأل فلويل:إلى أي مدى تستطيع إسرائيل أن تتخلـى عـن المزيـد مـن الأرض للفلسطينيين من دون أن تعرض أمنها للخطـر؟ رد نيتانياهو: الواقع أننا لا نستطيع أن نتخلى إلا عـن القليل جدا. وكان تعليق فلويل: ولا بوصة واحدة.

وما إن خرج نيتانياهو من لقائه مع جيري فلويل حتى أعطى الأخير الضوء الأخضـر لهـذا الجيش الإعلامي - الديني للتحرك عبـر شـبكة الكنائس ومحطات الإذاعة والتليفزيـون وسلسـلة المطبوعات اليوميـة والأسـبوعية التـي تتـولى إصدارها، وانطلقت الحملة من مقولة ثابتـة مـن مقولات هذه الحركات الدينية، وهـي أن القـوانين الدولية الوضعية لا يجب على الإطـلاق تطبيقهـا على دولة إسرائيل لأنها تختلف عن كل الكيانـات السياسية الأخرى في العالم من حيث إن وجودهـا يعتبر تجسيدا للإرادة الإلهية وللوعود الواردة فـي

الكتاب المقدس لشعب الله المختار. وعليه فإن حكومة نيتانياهو لها أن تتحلل ليس فقط من القرارات المتعددة والمتتالية للأمم المتحدة وإنما هي في حِلٍّ أيضا من أي اتفاق عقدته الحكومات الإسرائيلية السابقة إذا ما تبين أن هذا الاتفاق يتناقض مع مصالح الشعب المختار أو مع الوعود الإلهية مثل اتفاق أوسلو.

ولقد تحدث المبشرون والقساوسة الإنجيليون إلى مستمعيهم ومشاهديهم في القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية من منظور ديني أصولي، وحثوا مستمعيهم ومشاهديهم على تسجيل أنفسهم للانتخابات العامة والانغماس في السياسة، لأنه بالتصويت في الانتخابات سوف يتمكن الأصوليون من إدارة هذا الوطن بل والعالم على حد تعبيرهم. وذكروا لمستمعيهم ومشاهديهم أن فصل الكنيسة عن الدولة لا يعني مطلقا فصل الله أو عزله عن الحكومة. والأمل الوحيد من وجهة

نظرهم هو يقظة البشر المتدينين في أمريكا، وقيادة رجال الله للأمة الأمريكية هي أفضل قيادة ممكنـة وتستطيع أن تمنح الأمـل وإحـراز النصـر فـي الانتخابات العامة. وفي عـام ١٩٨٠ م، وبفضـل الغالبية الأخلاقية على تسجيل مليـونين ونصـف المليون ناخب لانتخابات ١٩٨٠ م، وبفضل الغالبية الأخلاقية والجماعات المسيحية الأصولية الأخـرى داخل المجتمع الأمريكي تفوق ريجان على كـارتر بنسبة ٥٦ % إلى ٣٤ % عام ١٩٨٠ (٧٠)، لقد منح الأصوليون المسيحيون دعمهم وتأييدهم لرونالد ريجان باعتباره بطلهم السياسي المنتظـر، وهـو بدوره، منحهم آمالا مسـتقبلية بتجسـيد أحلامهـم وتحقيق نبوءاتهم في السيطرة والحكم (٧١).

الخاتمة:

جاء هذا البحث ليدل على ما ذهبنا إليه في المقدمة من أننا نشهد منذ مطلع السبعينيات حتـى اللحظة الراهنة، انبعاثا دينيا للأديان جميعها داخـل المجتمعـات المعاصـرة، وإن تفاوتـت أسـبابه ومظاهره وأبعاده ومضامينه ونتائجه، تبعا لاختلاف درجة تطور المجتمعات الإنسانية وتباين أنظمتهـا الاقتصادية والاجتماعية، ووفقا لتشكل الدين ذاتـه داخل كل مجتمع على حدة، فالظاهرة التـي نحـن بصددها.. تتصف بالعمومية والخصوصية معا.

جاء هذا البحث أيضا كخطوة أولى لدحض الزعم القائل بتفرد دين دون آخر فيما يتعلق بادعاء أصحاب دين معين بصلاحية هذا الدين فحسب دون غيره لتنظيم شئون المجتمع الإنساني وضبط حيـاة البشر اعتمادا على ما جاء في النصوص المقدسة، وما خلفه الأسلاف من قيم وممارسات.

كان النموذج الذي عرضنا له عبـر هـذا البحث هو نموذج الأصولية المسيحية السياسية في المجتمع الأمريكي. فمنذ مطلع الربع الأخيـر مـن القرن الحالي شهد هذا المجتمع ظواهر عدة علـى مستوى السلوك الاجتماعي الفـردي والسياسـات الحكومية، شكلت في مجملها مؤشرات على تصاعد المد الأصولي المسيحي. وثمـة عوامـل متعـددة تضافرت معا لتشكيل السـياق البنـائي والفكـري لبزوغ الحركة الأصولية المسيحية السياسية داخـل المجتمع الأمريكي، لعل أهمها الأزمة المجتمعيـة الحادة التي أخذت تضرب المجتمع الأمريكي بشدة منذ بداية السبعينيات، وما استتبع ذلك من تقدم قوى اليمين الأمريكي الجديد بمشروعها المزعوم لقيـادة الأمة الأمريكية وإحياء الحلم الأمريكي.

تأسس هذا المشروع على تسـعير سـباق التسلح وتشغيل آلة الحـرب الأمريكيـة كقـاطرة للاقتصاد الأمريكي بغرض انتشاله من حالة الركود

والتضخم، وعمدت هذه القوى إلى إضفاء مسـحة من القداسة على اختياراتها السياسية والاقتصـادية والاجتماعية والأمنية وذلك بتغليفها بنظرة مسيحية أصولية حتى تجد القبول، وتعبئ الشعب الأمريكي خلف هذه الاختيارات.

وعلى المستوى الفكري عبرت الأصـولية المسيحية عن نفسها برفضـها للتـراث الإنسـاني العقلاني الذي تمخض عن عصر التنوير، ونـادت بالعودة إلى ما قبل التنوير بحثا عن الأصول، وعن نسق مغاير للأيديولوجيات العلمانية.

على مسـتوى الممارسـة كـان اليمـين الأمريكي الجديد وحركة الغالبية الأخلاقية أقـوى التيارات الفاعلة في الحركة الأصولية المسيحية في المجتمع الأمريكي، فقد استطاعت أن تكتل القـوى المحافظة الأمريكية في جبهة مـؤثرة وضـاغطة لصياغة السياسة الأمريكية على نحو يحقق مصالح بعينها.

وفي عام ١٩٨٠ م تجسد حلم الأصـوليين في حكم أمريكا حينما منحوا ريجان R. Reagan دعمهم وتأييدهم لدورتين رئاسيتين متتاليتين، فـي حين منحهم ريجان الأمل فـي إمكانيـة تأسـيس جمهورية محافظة تحقق نبوءاتهم التي استحضروها من الماضي السحيق ليسـقطوها علـى الحاضـر وليصوغوا المستقبل على منوالها.

l-D. bell, The return to the sacred. The Argument on the future of religion? In: D. Bell, The winding passage, Essays and sociological. Jaurneys 1960 – 1980, Abt Books, Cambridge, Massachusetts, 1980, pp. 326 – 352, pp. 326 – 327.

٢_ راجع من بين البحوث:

- روبرتو شيرانانو، - وماريام-ا تشـ-يوني، وانريكويوتسي؛ السياسة والدين في حركات الطلاب حالة إيطاليا، في: مراد وهبة (المحرر)، الشباب والمثقفون والتغير الاجتماعي، أبحـ-اث المـ-ؤتمر الثالث للمجموعـ-ة الأوربيـ-ة العربيـ-ة للبحـ-وث الاجتماعية، مكتبة الأنجلـ-و المصـ-رية، القـ-اهرة، ١٩٨٨، ص ٩٩ - ١٠٧.

- مصطفى نور الدين عطية، النحل الدينية في الغرب والسياسة، في: محمـود أمـين العـالم (المحرر)، الإسلام السياسي - الأسـس الفكريـة والأهداف العملية، ص ٣٠٦ - ٣١٥.

- غريس هالسل، النبـوءة والسياسـة - الإنجيليون العسكريون في الطريق إلـى الحـرب النووية، ترجمة: محمد السماك، جمعيـة الـدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس - ليبيا، الطبعة الثانية، ١٩٨٠.

- جيل كيبل، يوم الله. الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث، دار قرطبة للنشـر والتوثيق والأبحاث، ليماسول. قبـرص، الطبعـة العربية الأولى، ١٩٩٢.

- رفيق حبيب، المسيحية والحرب: قصـة الأصولية الصهيونية الأمريكية والصـراع علـى الشرق الإسـلامي، يافـا للدراسـات والأبحـاث، القاهرة، ١٩٩١.

٣_انظر:

- Ali E. Hillal Dessouki, the Islamic resurgence: sources, Dynamics and I implications, in: Ali E. Hellal Dessouki (ed) Islamic resurgence in the Arab world.

- سمير نعيم أحمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الـديني، نـدوة الـدين فـي المجتمع العربي، الجمعية العربية لعلم الاجتمـاع، مركز دراسات الوحدة العربية، القـاهرة، ٤ ـ ٧ أبريل ١٩٨٠.

(٤)بسام طيبي: الثقافة العربية المعاصـرة في مفترق الطرق، شئون عربيـة، العـدد ١٥، مايو ١٩٨٢، ص ٧٤ ـ ٦١.

(٥)سلامة موسى: ما هي النهضة؟ مكتبـة المعارف، بيروت، ١٩٦٢، ص ٥ ـ ١١.

(٦)راجع:

- مراد وهبة: الأصولية والعلمانيـة فـي الشرق الأوسط المعاصر، المنار، السنة الخامسـة، العدد ٤٩، يناير، ١٩٨٩، ص ٨٤ ـ ٩٧.

- جيل كيبل: يوم الله. حركات الأصـولية المعاصرة في الديانات الثلاث.

مصدر سابق، ص ١١٨ ـ ١١٩.

(٧)راجع:

- مراد وهبـة: الأصـولية والعلمانيـة، مصدر سابق، ص ٨٤ ـ ٨٥.

- جيل كيبل: يوم الله، مصدر سابق، ص ١١٩.

(٨)راجع:

- Henry Munson, the social base of Islamic Mlitancy in Moracq, the Meddle East Journal, Vol. 40 No. 2, Spring, 1986 pp. 267 – 284 p – 296.

- وراجع أيضا: المقدمة التي كتبهـا القـس جيري فلول Jerry Folwell زعيم حركة الأغلبية الأخلاقية، أقوى أجنحة المحافظين الأمريكيين الجدد في الولايـات المتحـدة الأمريكية:

- Richard A. Vigurie, the New right: we're ready to lead, the Vigurie company, printed in the U. S. A, 1981.

(٩)رفيق حبيب: الاحتجـاج الـديني فـي مصر، يافا للدراسات والأبحاث، القـاهرة، ص ٢٠ ـ ٢١.

(١٠)راجع:

ـ عبد الله العمر: ظاهرة العلم الحـديث: دراسة تحليلية وتاريخية، عالم المعرفة، المجلـس الوطني للثقافـة والآداب، الكويـت، العـدد ٦٩، ١٩٨٣، ص ٣٩ ـ ٤٠، ص ٨٥ ـ ٨٦.

- سمير نعيم أحمد: المنهج العلمـي فـي البحوث الاجتماعية، مكتبة سعيد رأفـت، جامعـة عين شمس، القاهرة ١٩٨٧، ص ٢٤ ـ ٣٧.

- حسين علي: مفهوم الاحتمال في فلسـفة العلم المعاصر، مكتبة الحرية الحديثة، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٤٩ ـ ٦٢:

(١١)راجع:

- مراد وهبـة: إشـكالية العلمانيـة فـي الغرب، المنار، العدد ٣١، يوليو ١٩٨٧، ص ٨٨ ـ ٩٩.

- Bassam Tibi, Islam and Secularization, in: Mourd wahba (ed), Islam and Civilization, Cairo, Ain Shams Unisersity, 1982, pp. 65 – 79.

- D. Bell the return to the sacred?, Op. Cit., pp. 331 – 332.

(١٢)راجع:

- نازلي إسماعيل حسن: النقد في عصـر التنوير، كنت، دار النهضـة العربيـة، القـاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦، ص ١٢ - ١٤

- مراد وهبة: إشكالية التنـوير والثقافـة، في: مراد وهبة ومنى أبو سنة (تحريـر)، نـدوة التنوير والثقافة، معهد جوته، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١ - ٨.

- ديفيد مارتن: التنوير. الحوار والصراع مع الإشارة إلى الدين، المصدر السابق، ص ٣٢ - ٤٠، ص ٣٩.

(١٣)مصطفى نور الدين عطيـة: النحـل الدينية في الغرب والسياسة، مصدر سابق، ص ٣١٢ - ٣١٣.

(١٤)مصطفى نور الدين: النحل الدينية في الغرب والسياسة، مصدر سابق، ص ٣١٢ - ٣١٣. وانظر أيضا:

- محمد عبد البـاقي الهرماسـي: علـم الاجتماع الديني، ندوة الدين في المجتمع العربـي، ص ١٢ - ١٤.

(١٥)قبل اندلاع حرب الخليج الثانية عـام ١٩٩١ وخلال الحرب، وفي غمار تعبئـة الرأي العام الأمريكي على وجه الخصوص والرأي العام العالمي بالإطلاق للعمليـات العسكرية ضد العراق أوردت شبكة C. N. N الإخبارية الأمريكية ما يلي:

- الرئيس الأمريكي بوش يصـلي لأجـل السلام. قبل بدء الحرب.

- بوش يتصل بأحد القيادات الدينية بعـد انتهاء المهلة التي حددها مجلس الأمن.

- أحد الزعماء الدينيين يقيم فـي البيـت الأبيض ليلة الحرب.

- بوش يشترك في الإعداد ليوم الصـلاة من أجل الأزمة.

- بوش يدعو الأمريكيين للصلاة للمحافظة على أرواح الجنود الأمريكيين.

- بوش يؤكد أنه تعلم أن رئـيس أمريكـا يجب أن يكون ملتزما دينيا ويعرف الله.

انظر: رفيق حبيب، المسـيحية والحـرب: قصة الأصولية الصهيونية الأمريكيـة والصـراع على الشرق الإسلامي، مصدر سابق، ص ٥٩.

(16)Richard A. Vigurie, the New right. We are ready to lead pp. 126 – 135.

راجع أيضا:

- ميران مشيدلوف، الدين في عالم اليوم، ترجمة: جمال السيد، دار العلم الجديـد، القـاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(١٧)جاء في المصادر التاليـة مؤشـرات إحصائية مقارنة تشير وعلى نحـو نسـبي إلى ازدياد درجـة التعلـق بالديانـة فـي

المجتمعات الأوروبية والمجتمع الأمريكـي خلال العقود الأخيرة من القـرن الحـالي انظر:

- Dryan Wilan. Cantermpararey transformation of religion oxfford university. Press, London, 1976.
- D. Bell the return to the sacred? Op. cit.

- مصطفى نور الدين: النحـل الدينيـة فـي الغرب، مصدر سابق، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧.
- ميران مسيدلوف: الدين في العالم اليـوم، مصدر سابق، ص ٦٣ ـ ٦٤.

(18)D. Bell, the return to the sacred? Op. cit p. 320.

- Karal Dofferlaere, Secularization as a religious change, op. cit., p. 112.

- وانظر أيضا:
- عبد العزيز كامل: العلمانية والـدين بـين الشمال والجنوب: نماذج مـن التطبيقـات،

مجلة العربي، الكويت، العدد ٣٥٢، مارس ١٩٨٨، ص ١٨ ـ ٢٣.

- فهمي هويـدي: أصـوليون وأمريكيـون، جريدة الأهرام المصرية، ٢٤ مايو ١٩٨٩.

(١٩)راجع:

- Richard, A. Vigtrie, the New right, op. cit, pp. 128.
- H. Richard, Niebuhs – Fundamentalism, Encyclopedka of social sciences, pp. 520 – 527.

- رفيق حبيب: المسيحية والحرب، مصـدر سابق، ص ٨٢ ـ ٨٣.
- وحيد عبـد المجيـد: انتخابـات الرئاسـة الأمريكية والصراع العربي الإسـرائيلي، مركز الدراسات السياسية والاسـتراتيجية بالأهرام، القاهرة، ١٩٨١، ص ١٠٠.
- إبراهيم عبد العزيز المهنا: الفكر المحـافظ الأمريكي، والصراع العربي الإسـرائيلي،

السياسة الدولية، العدد ٩٥، يناير ١٩٨٩، ص ٣٢ ـ ٣٣.

(٢٠)مصطفى نور الدين عطية: النحل الدينية في الغرب، مصدر سابق، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(٢١)راجع:

ـ ميران مشيدلوف، الدين في العالم اليوم/ مصدر سابق، ص ٦٨.

ـ مصطفى نور الدين عطية: النحل الدينية في الغرب، مصدر سابق ص ٣٠٩ ـ ٣١٢.

(٢٢)راجع:

- Richard Vigure, the new right, op. cit. pp. 179 – 180

- لطفي الخولي: الستاليون الجدد وعصابة الكاليفورنيين، جريدة الأهرام، ٣ أبريل ١٩٨٩.

- إبراهيم عبد العزيز الهنا: الفكر المحـافظ الأمريكي، مصدر سابق، ص ٢٧ ـ ٢٩.

(٢٣)راجع:

- Richard, Vigure, the new right, op. cit. pp. 1 – 3.

- وحيد عبـد المجيـد: انتخابـات الرئاسـة الأمريكية، مصدر سابق، ص ١٢

(24)D. Bell, the end of ideology: on th exhaustion of political ideas in the fifties, the free press. New York, 1960.

(25)D. Bell, Ibid., pp. 402 – 403.

(٢٦)راجع التحليل النقـدي الـذي قدمـه الباحث في أطروحته للماجيسـتير لتيـار نهاية وأفول الأيديولوجية وتنويعاته النظرية كنظرية التقارب، ونظرية مراحل النمـو، ومجتمع ما بعد الصناعة. تحـت إشـراف الدكتور السيد الحسيني.

راجع:

- عبد الله محمد حسنين شلبي: العالم الثالث والاختيار الأيديولوجي، مصر نموذجا - دراسة تاريخية بنائية ١٩٥٢ - ١٩٧٠، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٥.

(27)D. Bell, the end of ideology, op. cit. p. 16.

راجع أيضا:

- س. ي نوبوف: نقد علم الاجتماع البرجوازي المعاصر، ترجمة: نزار عبون السدو، تقديم طيب تيزيني، دار دمشق للطباعة، دمشق، ١٩٧٣، ص ١٦٩ - ١٧٩.

(28)D. Bell, the end of ideology, Op. cit., p. 406 & p. 417.

راجع أيضا:

- أحمد أبو زايد: علـم الاجتمـاع بـين الاتجاهات الكلاسـيكية والنقديـة، دار المعـارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨١، ص ٢١٦.

(29)Lispet, S. M., The End of ideology and ideology of Intellectuals, in: Shils E. (hanor) culture and its Creatures, the university of Chicago press, Chicago, press, Chicago, 1977. pp. 15 – 17.

(٣٠)المطلق الأصولي: تعبير صاغة مراد وهبة. راجـع: مـراد وهبـه الأصـولية والعلمانية في الشـرق الأوسـط المعـار، مصدر سابق.

(31)D. Bell, the return to the scored? Op. cit. pp. 331 – 334.

(32)D. Bell ibid, p. 349.

(٣٣)راجع:

- فؤاد موسى: الرأسمالية تجـدد نفسـها، عالم المعرفة، المجلس الـوطني للثقافـة والآداب، الكويت، مارس ١٩٩٠، ص ٣٩ ـ ٤٠.

(٣٤)بوتومـور: علـم الاجتمـاع والنقـد الاجتمـاعي، ترجمـة وتعليـق: محمـد الجوهري وزملائه، دار المعارف، القاهرة، الطبعـة الأولـى، ١٩٨١، ص ٢٢٢ - ٢٢٥.

(٣٥)منى أبو سنة: مـايو ١٩٦٨ طريـق على الأصولية، المنار، العدد ٣٦ ديسـمبر ١٩٨٧، ص ٥٨ - ٦٣.

راجع أيضا:

الطليعة: العدد الثامن، والتاسع، أغسطس، سبتمبر ١٩٦٨، حيث قدمت المجلـة فـي هـذين العددين ملفا كاملا عن ثورة الشباب ١٩٦٨.

(٣٦)راجع:

- داود عزيز: اليسار الجديد: فكر ضائع. عنف مجرد.. طفولة يسـارية، الطليعـة، السـنة الرابعة، العدد التاسع، سبتمبر ١٩٨٦. ص ٥٨ - ٧١.

- أحمد أبو زايد: علـم الاجتمـاع بـين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية مصدر سـابق، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٣٧)منى أبو سنة: مـايو ١٩٦٨ طريـق على الأصولية، مصدر سابق، ص ٦٠.

(٣٨)راجع:

- أحمد زايد: علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، مصدر سـابق، ص ٢١٩ - ٢٢٢.

- روبرتو شيريانو وآخـرون: السياسـة والدين في حركات الطلاب، مصدر سابق، ص ٩٩ - ١٠١.

(٣٩)راجع:

- السيد الحسيني: نحو نظرية اجتماعيـة نقدية، دار النهضة العربية، بيـروت، ١٩٨٥، ص ٢٣٢.

- عدل غنيم وآخـرون: منـابع الإلهـام الفكري والقضائي لحركة الشباب ١٩٦٨ في العالم الرأسمالي، الطليعة، السنة الرابعة، العدد الثـامن، أغسطس ١٩٨٦ ـ حمص ٣٦ ـ ٧١، ص ٥٩ ـ ٦١.

- هربرت ماركيوز: الإنسـان ذو البعـد الواحد، ترجمة: جـورج طرابيشـي، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثالثة:، يناير ١٩٧٣.

(٤٠)راجع:

- سعد الدين إبـراهيم: علـم الاجتمـاع الأمريكي بين التواطؤ والثورة، دراسات عربيـة، يوليو ١٩٧٣، ٢٢ ـ ٢٣.

- عادل غنيم وآخـرون: منـابع الإلهـام الفكري والنضالي لحركة الشباب ١٩٦٨ في العالم الرأسمالي، مصدر سابق، ص ٦١.

(٤١)راجع:

- عبد الخالق عبد الله: العـالم المعاصـر والصراعات الدولية، عـالم المعرفـة، المجلـس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويـت، العـدد ١٣٣، يناير ١٩٨٩، ص ٢٥ - ٢٧.

- حسن نافعة: الاستمرارية والتغير فـي السياسة الأمريكية بعـد انتخـاب بـوش، جريـدة الأهرام، ٢٥ نوفمبر ١٩٨٨.

(٤٣)راجع:

- فؤاد مرسي: المصدر السابق، ص ٢٠٨ - ٢١٣، ص ٤١١ - ٤١٦.

(٤٥)راجع:

- فؤاد مرسي: الرأسمالية نفسها، مصـدر سابق، ص ٤٠٨ - ٤١١.

- البنك الدولي للإنشاء والتعمير، تقريـر عن التنمية في العالم الثالث ١٩٨٦، جداول رقـم (١، ٢)، ص ٢١٤ - ٢١٧، مركـز الأهـرام للترجمة والنشر، الأهرام، القاهرة، يوليو ١٩٨٦.

(٤٦)راجع:

- R. A. Vigurie, the New Right, we are ready to lead, op. cit. pp. 1 – 3.

- مراد واهبة: ريجان والأصولية، مصـدر سابق.

(٤٧)واحد من أهم قيادات اليمين الأمريكي الجديد في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ويلقي كتابة ضـوءا نافـذا علـى فكـر ومؤسسات وتنظيمات الحركـة المحافظـة الجديـدة - New conservatine Mavemento في المجتمـع الأمريكـي وهي الحركة التي صاغت عمل السياسـة

الأمريكية في عقد الثمانينيات مـن القـرن الحالي.

راجع:

- R. A. Vigurie, The new right. Op. cit.

(48)R. A vigurie, the new right, Ibid, pp. 179 J 187.

(٤٩)راجع:

- D. Bell, the return to sacred? Op. cit. p. 349.
- R. A. Vigurie, the new right, introduction by: Jery Falwess

(٥٠)يوجد في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي عشـرين ألـف شـركة رئيسـية للصناعات الحربية بالإضافة إلـى مائـة وخمسين ألف شركة فرعية أخرى تتعامل جميعهـا مـع وزارة الـدفاع الأمريكيـة ودوائرها المختلفة وتزودها بكل متطلباتها

بدءا من أحذية الجنـود إلـى الصـواريخ العابرة للقارات. راجع:

- عبد الخالق عبد الله: العـالم المعاصـر والصراعات الدولية، مصدر سـابق، ص ١٢٩ - ١٣١.

- إسـماعيل صـبري مقلـد: العلاقـات السياسية الدولية: عالم المعرفة، المجلس الـوطني للثقافة والفنـون والآداب، الكويـت، ١٩٨٥، ص ٣٨٢.

- حسن عبد ربه: حرب بوش الخاصـة، جريدة الأهالي، ٢٧ فبراير ١٩٩١.

(٥١)راجع:

- محمد السـيد سـليم: أزمـة السياسـة الخارجية الأمريكيـة فـي الثمانينيـات، السياسـة الدولية، العدد ٦٨، أبريل ١٩٨٢، ص ١٦.

- أنس مصطفى كامل: المرحلة الثالثة في التحالف الإسرائيلي الأمريكي، الطليعة، كتاب غير دوري، القاهرة، مايو، ١٩٨٤، ص ٦١ ـ ٧٨.

- وحيد عبد المجيد: انتخابـات الرئاسـة الأمريكية والصراع العربي الإسـرائيلي، مصـدر سابق، ص ١٢، ص ٩٢ ـ ٩٦.

(٥٢)راجع:

- لطفي الخولي: الستاليون الجدد وعصابة الكاليفورنيين، مصدر سابق.

- حسن نافعة: الاستمرارية والتغير فـي السياسة الأمريكية، مصدر سابق.

- R. A. Veguire the new right, op. cit, pp. 109 – 122 & pp. 151 – 161.

(٥٣)راجع:

- إبراهيم عبد العزيـز المهنـا: الفكـر المحافظ الأمريكي، مصدر سابق، ص ٢٨ ـ ٢٩.

- حسن نافعة: الاستمرارية والتغير فـي السياسة الأمريكية، مصدر سابق.

(٥٤)راجع:

- البنك الدولي للإنشاء والتعمير، الفقـر. مؤشرات التنمية الدولية، تقرير عن التنميـة فـي العالم ١٩٩٠، ترجمة: مركز الأهـرام للترجمـة والنشر، الأهرام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، جدول رقم (١٢)، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣.

- لطفي الخولي: الستاليون الجدد وعصابة الكاليفورنيين، مصدر سابق.

- حسن نافعة: الاستمرارية والتغير فـي السياسة الأمريكية، مصدر سابق.

- R. A. Viguire, the new right, op. cit. pp. 78 – 79 & pp. 137 – 150.

(٥٥)فؤاد مرسي: الرأسمالية تجدد نفسها، مصدر سابق، ص ٤٠٨ ـ ٤١٢.

(٥٦)أشارت جريدة الأهرام المصرية نقلا عن تقارير أعدتها لجنة الشئون الفضـائية بمجلس الشيوخ الأمريكي أنه في الفترة من عام ١٩٨٠ إلى عالم ١٩٩٠ سـقط ٢٤٠ ألفا من الأمريكيين ضحايا لجرائم القتـل، في مقابل ٥٨ ألفا أمريكيا سقطوا في حرب فيتنام عبر اثني عشر عامـا وفـي عـام ١٩٩١ وحده سقط أكثر من ٢٤ ألفا مـن الأمريكيين قتلى بفعل جـرائم القتـل فـي المجتمع الأمريكي. وبزيادة قدرها ٢,٥ % وهو معدل زيادة يفوق معدل زيادة السكان في المجتمع الأمريكي، وفي عـام ١٩٩٥ بلغ عدد الجرائم التي سجلت في الولايـات المتحدة الأمريكيـة حـوالي ٩,٥ مليـون جريمة على تنوعها وتباينها، وهذه الأرقام التي ذكرتها تشير إلى أن ثمة حربا غيـر

معلنة داخل المجتمع الأمريكي تصل إلـى حد الإبادة.

راجع:

- جريدة الشعب في ١٢ فبرايـر ١٩٩١.

وجريدة الأهرام في ٩ يناير ١٩٩٢، ٧ أغسـطس ١٩٩٦.

(٥٧)راجع:

- H. Richard Niebuhn, Fundamentalism, Encyclopedia of the social sciences, pp. 526 – 527.
- Vergilur ferm (ed), The Encyclopedia of religion, polar books, U. S. A. 1987, pp. 291 – 292.

- رفيق حبيب: المسيحية والحرب، مصـدر سابق، ص ١١ ـ ١٦.

(٥٨)راجع:

- H. R. Niebuhn, Fundamentalism, Op cit. p. 526.

- Ali E. H. Dessouki, The Islamic Resurgence, Op. Cit, pp. 56.

(٥٩)راجع:

- مراد وهبة: ريجان والأصولية: فلسفة اليمين الأمريكي الجديد، المنار، مصدر سابق.

- H. R. Niebuhn, Fundamentalism, Op. cit, p. 527.

(٦٠)تجدر الإشارة هنا إلى أن بداية تكون وازدهار جماعة الإخوان المسلمين والذي تعد أصلا للحركات الأصولية الإسلامية المعاصرة في العالم العربي، كان أيضا في مطلع الثلاثينيات من القرن الحالي، كما أن حزب الكتائب المسيحي اللبناني، وهو أول حزب سياسي مسيحي في العالم العربي، قد برز إلى الوجود في عام ١٩٣٦.

(٦١)راجع:

- مراد وهبة: ريجان والأصولية، مصدر سابق، ص ٢٦.

- R. A. Vigurie, the new right, op. Cit, pp. 42 – 43.,

(٦٢)راجع:

- رفيق حبيـب: المسـيحية والحـرب، مصدر سابق، ص ٨٢ ـ ٨٣.

(٦٣)راجع:

- يوسف الحسن: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠.

- R. A. Vigurie, the new right, Op. Cit. p. 126.

(٦٤)راجع:

- R. A. Vigurie, the new right, op cit, pp. 135 – 136.
- J. Falwell, Introduction. In: R. A. Vivurie, The new right.

(65)R. A. Vigurie, the new right, op. cit. pp. 189 – 101. & pp. 109 – 123.

(٦٦)راجع الكتاب المقدس، العهد الجديـد، سفر رؤيا يوحنـا اللاهـوتي، الإصـحاح السادس عشر، ص ٤١٣، والعهد القـديم، سفر زكريا، الإصحاح الثامن والتاسع، ص ١٣٤٦ ـ ١٣٤٩.

(٦٧)راجع:

ـ غريس هالسـل: النبـوءة والسياسـة، مصدر سابق، ص ١٣ ـ ١٤، ص ٢٣ ـ ٢٦.

رفيق حبيب: المسيحية والحرب، مصـدر سابق، ص ٣ ـ ٤.

ـ إبراهيم عبد العزيـز المهنـا: الفكـر المحافظ الأمريكي، مصدر سابق، ص ٢٥ ـ ٣٠.

(٦٨)راجع:

ـ غريس هالسـل: النبـوءة والسياسـة، مصدر سابق، ص ٤٥ ـ ٤٧، ص ٦٩.

رفيق حبيب: المسيحية والحرب، مصـدر سابق، ص ١٠٨ ـ ١١١، ص ٢٠٣ ـ ٢١٦.

- يوسف الحسن: البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه العربـي - الصـهيوني، مصـدر سابق.

(69)R. a. Vigurie, the new right, op. cit. pp. 6 – 79 & pp. 92 – 94.

راجع أيضا:

- محمد السماك: توظيف الدين في الدفاع عن إسرائيل، الأهرام ٤ فبراير ١٩٩٨.

- رضا هلال: (كلينتـون - مونيكـا) جيت.. وما بعد المـؤامرة، الأهـرام، ٥ فبرايـر ١٩٩٨.

(٧٠)راجع:

- غريس هالسـل: النبـوءة والسياسـة، مصدر سابق، ص ٦٩ - ٧٠.

- رفيق حبيب: المسيحية والحرب، مصدر سابق، ص ١٤١ - ١٤٥.

- R. A. Vigurie, the new right, op. cit pp. 123 – 136.

(٧١)خلال حرب الخليج العربي الثانية في عام ١٩٩١، قدم قادة الأصولية المسـيحية الأمريكية مبررات دينية لحتميـة خـوض الولايات المتحدة الأمريكية الحـرب ضـد العراق، وحاولوا إضفاء طابع ديني أصولي على الحرب بتأويلها في سياق النبـوءات الواردة في الكتاب المقدس؛ فسقوط بابـل هو إحدى مراحل النهاية التي تقربنا مـن " إمرامجدون " وبابل هي العراق، وطاغيـة بابل ليس إلا الرئيس العراقي صدام حسين، ولا بد من تدمير بابـل أو العـراق لكـي تقترب النهاية، أي تقترب الجيوش مـن " إمرامجدون " في فلسطين لتحـارب قـوى الشر.

راجع:

- شكري عاذر: الأصـولية الصـهيونية المسيحية في أمريكا، جريدة الشعب في ٢٦ فبراير ١٩٩١.

- رفيق حبيب: المسيحية والحرب، مصدر سابق، ص ٥٩.

- R. A. Vigurie, the new right, op. cit. p. 8 & pp. 47 & pp. 124 – 127.